IUGJEPS
Vol 30, No 2, 2022, pp489-521

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (7-7-2021)، تاريخ قبول النشر (1-8-2021)

الدعوةُ بالقرآنِ والبناءُ الروحيُ به دراسةٌ منهجيةٌ تدرُجيَّةٌ بحسب زمانِ النزولِ

اسم الباحث الأول: وائل عمر بشير * 1

اسم الباحث الثاني : د. وليد محمد العامودي 2

[1] اسم الجامعة والبلد (للأول) الجامعة الإسلامية-غزة

[2] اسم الجامعة والبلد (للثاني) الجامعة الإسلامية-غزة

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: wbasheer@hotmail.com

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.30.2/2022/15

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة قضية دور القرآن الكريم في الدعوة إلى اللَّه والبناء الروحي للدعاة، وذلك من خلال منهجية الدراسة التدرجية الزمانية للنزول وارتباطها بأحداث السيرة والدعوة.

ويبين الباحث أهمية علم تاريخ نزول آيات القرآن، ودراسة القضايا القرآنية وفق هذا المنهج التدرجي الذي يدرس القضايا بحسب ارتباطها بأولويات الدعوة في العهدين المكي والمدني.

وقد تتبع الباحث النزول الزماني للآيات التي تتحدث عن القرآن في مجال الدعوة والبناء الروحي للوقوف على الأهم فالمهم في هذا المجال، مسلطاً الضوء على دور القرآن الكريم بوصفه الأداة الأولى والأهم للدعوة إلى اللَّه وللبناء الروحي للدعاة، مع بيان الطريقة القرآنية الصحيحة للتعامل مع القرآن لتؤتي هذه المجالات أُكُلها.

ويُبرز البحث أهمية الدعوة إلى اللَّه بحيث شملت دعوة الجن في أوائل العهد المكي.

ويُبرز أيضاً أولوية دور القرآن في ترغيب الناس بالإقبال عليه بوصفه كتاب فيه الخير الديني والدنيوي معاً للناس.

كلمات مفتاحية: (الدعوة بالقرآن – الارتباط بالقرآن – البناء الروحي)

The call with the Qur'an and the spiritual building with it - A gradual systematic study according to the time of descent

Abstract:

This research aims to study the issue of the role of the Noble Qur'an in the call to Allah and the spiritual construction of callors of Allah, through the temporal gradual study methodology of revelation and its connection with the events of the Seera and da'wah.

The researcher shows the importance of the science of the history of the revelation of the verses of the Qur'an, and the study of Qur'anic issues according to this gradual approach, which studies issues according to their connection to the priorities of da'wah in the Meccan and Maddani eras.

The researcher traced the temporal descent of verses that talk about the Qur'an in the field of da'wah and spiritual construction to determine the most important and the next important in this field, highlighting the role of the Holy Qur'an as the first and most important tool for the call to Allah and for the spiritual construction of preachers, with an explanation of the correct Qur'anic method for dealing with the Qur'an to achieve this Domain's goal.

The research highlights the importance of calling to Allah, as it included the call of the jinn in the early Meccan era.

It also highlights the priority of the role of the Qur'an in encouraging people to turn to it as a book that contains both religious and worldly good for people

Keywords: (The call with the Qur'an - the connection with the Qur'an - the spiritual building)

جسم البحث:

مقدمة

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ على عبدِه الفرقانَ هدًى للعالمينَ، وفرَّقَه في النزولِ تلطُّفاً بالأمِّيِّينَ، وأفاضَه بالرُّوحِ على قلبِ خيرِ المرسلينَ، فهبَّ به النبيُّ نذيراً للأقربينَ، ثمَّ دعا به الإنسَ والجنَّ أجمعينَ، وأحيا به ليلَه مترسِّلاً مرتِّلاً نورَ اللَّهِ المبينِ، فوعاهُ قلبُه وحواهُ صدرَه وعقلَه لبُّهُ واختلطَ بكيانِه حتى أثمرَ خيرَ المخلوقينَ، أما بعدُ:

فقد اعتنى القرآنُ أيَّما اعتناءٍ بإنشاءِ علاقةٍ قويةٍ متينةٍ بينَهُ وبينَ مَن نزلَ عليهم هذا الذِّكرُ الحكيمُ، فإنما حياةُ الفردِ ومن ثَمَّ حياةُ الجماعاتِ والأممِ لا تستقيمُ ولا تُثمرُ إلا بنشوءِ علاقةِ اندماجٍ وتفاعلٍ بينَ الرُّوحِ السماويِّ والروحِ الإنسانيِّ، بينَ كلامِ اللَّهِ الذي هو رُوحٌ من أمرِهِ وبينَ روحِ الإنسانِ التي هي مكمنُ طاقتِهِ وأثرِهِ.

ولمَّا كانت هذهِ الروحُ مخلوقةً مجعولةً في جسدٍ طينيٍّ تتنازعُهُ الشهواتُ الماديةُ وتعصفُ به الأهواءُ الدنيويَّةُ فتتأثرُ بهِ سفولاً وعلوّاً كانَ من رحمةِ اللَّهِ بالإنسانِ الذي خلقَهُ بيدَيهِ أن تدرَّجَ معهُ في التقويمِ وترقَّى معهُ في التربيةِ والتعليمِ حتى يُقَوِّمَ اعوجاجَ نفسِهِ دونَ أن تقصُرَ عن السُمُوِّ لقوةِ ارتباطِها بالطينِ، ولا تشِذَّ في الغلُوِّ لسرعةِ اندفاعِها في هذا الدينِ المتينِ، وقد تجلَّى المنهجُ القرآنيُّ التدرُّجيُّ في تنزُّلِ هذا القرآنِ نجوماً متفرقاتٍ على طولِ مُكثِ النبيِّ ﷺ نبياً في هذهِ الأرضِ بحسبِ وقائعِ السيرةِ وأحوالِ الناسِ واستعداداتِهم النفسيةِ للانسلاخِ من الجاهليةِ بكلِّ مظاهرِها والارتقاءِ في المعارجِ الربانيّةِ بكلِّ معاليها.

ولمَّا كانَ القرآنُ العظيمُ هو غذاءَ هذه الروحِ المُحرِّكةِ لهذا الجسدِ بكلِّ حَسَنٍ محمودٍ على هذه الأرضِ اقتضت حكمتُهُ جلَّ وعزَّ أن يتدرَّجَ في بناءِ علاقةٍ متينةٍ بينَ هذا الإنسانِ الذي هو خليفتُهُ على أرضِهِ وبينَ كلامِهِ الذي هو منهجُهُ على بسيطتِهِ، فتنزلت آياتُ القرآنِ تتراً متدرجاتٍ من لدن (اقرأ) إلى خواتيمِ البقرةِ تعالجُ هذه النفسَ وتؤسِّسُ فيها مكامنَ عبوديَّتِها التامةِ لربِّها بدءاً بالأهمِّ لصلاحها فالمهمِ حتى ما كادَ الوحيُ الغضُّ ينقطعُ عن هذه الأرضِ حتى نشأَ من مشكاةِ الوحيِ والنبوةِ جيلٌ قرآنيٌّ فريدٌ قد استقامَ بالقرآنِ وأقامَ الدنيا كلَّها به.

أهميةُ البحثِ:

1- تنبعُ أهميةُ البحثِ من أهميةِ الدراساتِ المنهجيةِ المتدرجةِ بحسبِ نزولِ القرآنِ، وتساوقِ هذا النزولِ معَ أحداثِ السيرةِ للخروجِ بنظرةٍ منهجيةٍ متدرجةٍ متكاملةٍ مبنيةٍ على أسسٍ صحيحةٍ.

2- مهمةُ الدعوةِ والبلاغِ أهمُّ مهامِّ المسلمِ الداعي إلى اللَّهِ، ولذا وجبَ البحثُ عن الطريقةِ القرآنيةِ النبويةِ الأتمِّ والأصوبِ للحصولِ على أفضلِ النتائجِ في بابِ الدعوةِ وبناءِ الداعي المسلمِ.

أسبابُ اختيارِ الموضوعِ:

1- إبرازُ دورِ القرآنِ المركزيِّ في مهمةِ الدعوةِ والبلاغِ.

2- إبرازُ ركنيةِ القرآنِ الكريمِ في البناءِ الروحيِّ للداعي إلى اللَّهِ وتزكيةِ نفسِه وإعدادِها لتحمُّلِ أعباءِ الدعوةِ إلى اللَّهِ.

3- تسليطُ الضوءِ على المنهجيةِ القرآنيةِ التدرجيةِ في النزولِ والتي عالجت قضيةَ الدعوةِ إلى اللَّهِ والبناءِ الروحيِّ للداعي إلى اللَّه تعالى.

أهدافُ اختيارِ الموضوعِ:

1- إبرازُ أهميةِ المنهجيةِ التدرجيةِ الزمانيةِ في استنباطِ أولوياتِ القضايا القرآنيةِ بحسبِ معالجتِها لأحوالِ الجماعةِ المسلمةِ

التي نزلَ عليها القرآنُ.

2- إعادةُ القرآنِ الكريمِ إلى رتبتِه العليا ومكانتِه الرئيسةِ كأداةٍ بحدِّ ذاتِه للدعوةِ إلى اللَّهِ قبلَ كلِّ أساليبِ الدعوةِ الأخرى المستنبطةِ منه.

3- البلوغُ بالداعي إلى اللَّهِ مرتبةَ التكاملِ والتزامنِ بينَ غايتَي البناءِ الروحيِّ بالقرآنِ والدعوةِ به بحيثُ لا تسبقُ إحداهما الأخرى، معَ بيانِ شدةِ أهميةِ البناءِ الروحيِّ للداعي بالقرآنِ نفسِه.

منهجُ البحثِ:

اتبعَ الباحثُ في بحثِه هذا المنهجَ التاريخيَّ أولاً في تتبُّعِ نزولِ الآياتِ موضوعِ البحثِ، ثمَّ اتبعَ المنهجَ الاستقرائيَّ في حصرِها، ثمَّ المنهجَ التحليليَّ والاستنباطيَّ في بيانِها واستخراجِ دلالاتِها.

الدراساتُ السابقةُ:

1- أسس البناء الروحي للأمة من خلال القرآن الكريم وأقوال السلف للدكتور عبد القدوس السامرائي ، كتاب مطبوع دار القلم العربي ط 2010 .

2- مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم في ضوء مطلع سورة المزمل ، بحث منشور في مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية ، العدد 50 / ايلول 2019 ، للباحث :عبدالله زيوت.

والدراستانِ يفارقانِ هذا البحثَ في نقاطٍ ثلاثةٍ:

1- كلا الدراستينِ: الكتابِ والبحثِ لم يتبعا المنهجَ التاريخيَّ الزمانيَّ في تتبعِ نزولِ الآياتِ واستنباطِ الدلالاتِ من تتابعِ نزولِها وتقديمِ ما قدَّمَه القرآنُ وتأخيرُ ما أخَّرَه، وهذه هي المنهجيةُ التي اتبعَها الباحثُ في هذا البحثِ.

2- الدراستانِ تبحثانِ فقط جانبَ البناءِ الروحيِّ بالقرآنِ، في حينِ أنَّ هذا البحثَ يبحثُ اقترانَ البناءِ الروحيِّ بالدعوةِ إلى اللَّهِ بأداتِهما الأولى القرآنِ.

3- بحثُ الدكتور زيوت يتناولُ مسألةَ البناءِ الروحيِّ من خلالِ فواتحِ سورةِ المزملِ فقط، في حينِ أنَّ هذا البحثَ يتناولُ الآياتِ من خلالِ القرآنِ كلِّه بحسبِ زمانِ النزولِ.

ومن خلالِ تتبُّعِ الباحثِ للتدرُّجِ التنزُّليِّ لآياتِ القرآنِ التي تُعنى بربطِ الإنسانِ بهذا المنهجِ السماويِّ في مجالِ الدعوةِ بالقرآنِ والبناءِ الروحيِّ للداعي به سيقفُ على أولوياتِ الوحيِ الإلهيِّ في بناءِ هذه العلاقةِ وسماتِها وارتباطِها بنشوءِ الجماعةِ المسلمةِ في هذا البحثِ.

وسيعرضُ الباحثُ تلكَ المنهجيةَ المتدرِّجةَ بحسبِ التنزُّلِ للوقوفِ على سماتِ المرحلتَينِ المكيةِ والمدنيةِ في مجالِ الدعوةِ بالقرآنِ وتزكيةِ النفسِ به من خلالِ هذا البحثِ الذي جاءت خطتُه على النحوِ الآتي:

- تمهيد في علم تاريخ النزول وأهميته.
- المبحث الأول: الدعوةُ بالقرآنِ هيَ المقصدُ الأولُ.
- المبحث الثاني: البناءُ الروحيُّ بالقرآنِ، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: صلاةُ القيامِ بالقرآنِ.
  - المطلب الثاني: تلاوةُ القرآنِ سلاحُ الداعي الأولُ.

- المبحث الثالث: إبرازُ أهميةِ القرآنِ في حياةِ الناسِ ومعادِهم
- المبحث الرابع: شمولُ الجنِّ بدعوةِ القرآنِ الكريمِ، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: العرضُ والترجيحُ
  - المطلب الثاني: ارتباطُ الجنِّ بالقرآنِ:
- الخاتمة، وتشتمل على:
  - النتائج.
  - التوصيات.
- الفهارس، وتشتمل على:
  - فهرس المصادر والمراجع.

تمهيدٌ

بحثُنا هذا مبنيٌّ على تتبُّعِ النزولِ التدرُّجيِّ لآياتِ القرآنِ الكريمِ في عرضِه لمسألةِ الدعوةِ بالقرآنِ والبناءِ الروحيِّ للداعي به، ولذا سنعرضُ بشكلٍ موجزٍ لمسألةِ تاريخِ نزولِ آياتِ القرآنِ الكريمِ والفوائدِ المستفادةِ من دراسةِ القضايا وفقَ هذه المنهجيةِ.

أولاً: علمُ تاريخِ نزولِ آياتِ القرآنِ الكريمِ:

نزَّلَ الله القرآنَ العظيمَ هدًى ورحمةً ونورًا ومنهاجًا للإنسِ والجنِّ أجمعينَ، وقد اقتضَتْ حكمةُ اللهِ البالغةُ أن يكونَ نزولُ هذا السِفرِ العظيمِ مفرَّقًا بمواقعِ النجومِ، بحسب الوقائعِ والأحداثِ والأحوالِ التي مرت بها دعوةُ الرسولِ الكريمِ ﷺ على طولِ فترةِ دعوتِهِ، فكانَ نزولُهُ متدرجًا سورةً سورةً، أو آيةً آيةً، أو قطعةً قطعةً، كي يتحقَّقَ لهذا المنهاجِ القويمِ تناوُلُ البشرِ بالتربيةِ المستمرةِ، ومعالجةُ أحوالِهم المتقلبةِ، والترقِّي معَ نفوسِهم المتردِّيَةِ، وإصلاحُ عوائِدِهم المستقرةِ، وتخليصُهُم شيئًا فشيئًا مِمَّا جُبِلت عليه نفوسُهم مِن إلفِ جاهليَّتِهم ومساوئِ أخلاقِهم.

وقد تحقَّقَ هذا التفاعلُ العميقُ المثمرُ بينَ نصوصِ التنزيلِ الحكيمِ وصاحبِ الرسالةِ من جهةٍ وبينَ أحداثِ السيرةِ النبويةِ وسلوكِ من بلغَهَم القرآنُ من جهةٍ أخرى، فنتجَ عن هذا التفاعلِ الزمانيِّ المكانيِّ السلوكيِّ في سياقاتِهِ الخاصةِ ذاكَ المنهاجُ القرآنيُّ القويمُ العظيمُ الذي رسمَ تلكَ الصورةَ التَّدرُّجيَّةَ التربويةَ التي أنتجت خيرَ أمَّةٍ أُخرجت للناسِ.

وقد نشأَ عن تلكَ العلومِ – أعني علمَ المكيِّ والمدنيِّ وأسبابِ النزولِ والسيرةِ النبويةِ والمناسباتِ بينَ الآياتِ – ما يسميه المعاصرون اليوم (علمُ تاريخِ نزولِ آياتِ القرآنِ)، وهو علمٌ ذو أهميّةٍ كبيرةٍ حيثُ يشكِّلُ منهجًا في تدبُّرِ القرآنِ وآياتِهِ، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:106]، فوجودُ هذا المنهجِ التاريخيِّ ثابتٌ بهذا التوجيهِ من أنَّ القرآنَ نزلَ مفرَّقًا على تواريخَ مختلفةٍ في مكةَ والمدينةِ، والسببُ في ذلكَ حينَ يقرأُهُ الرسولُ ﷺ على الناسِ على مُكثٍ، وأمّا المقصودُ من ذلكَ فقالَ تعالى في سورةِ الفرقانِ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: 32 – 33]، وقولُهُ ورتلناه ترتيلا أي رتَّبْناهُ ترتيبًا، قالَ مجاهدٌ: الترتيلُ: التَّرَسُّلُ، قالَ: ورتلناه ترتيلًا بعضُهُ على أثرِ بعضٍ، وأصلُهُ تناسقُ الشيءِ، والغايةُ منه تثبيتُ فؤادِ الرسولِ ﷺ.

إذن علمُ تاريخِ نزولِ آياتِ وسورِ القرآنِ الكريمِ يدرسُ تاريخَ نزولِ الآيةِ، أي زمنَ نزولِها، ومكانَ نزولِها، وفيمن نزلت من الناسِ، وفيما نزلت من القصصِ والأحداثِ، وسببَ نزولِها، وما نزلَ قبلَها، وما نزلَ بعدَها في موضوعِها لمعرفةِ المعنى التثبيتي

الذي أحدثَتْهُ الآيةُ يومَ تاريخِ نزولِها على الرسولِ ﷺ وعلى المسلمينَ والمؤمنينَ، وعلى غيرِهم من المشركينَ وأهلِ الكتابِ"[1].

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ القرآنَ الكريمَ لم يذكرْ صراحةً تاريخَ حادثةٍ بعينِها من خلقِ آدمَ إلى تاريخِ نهايةِ نزولِهِ على رسولِ اللهِ ﷺ لأنَّ مقصودَ القرآنِ الكريمِ العبرةُ وليسَ مجردَ المعرفةِ التاريخيةِ.

وكذلكَ فإنَّ علمَ تاريخِ نزولِ آياتِ وسورِ القرآنِ لا يهدفُ إلى المعرفةِ التاريخيةِ إلا من أجلِ العبرةِ التشريعيةِ في تتابعِ معاني القرآنِ ومعرفةِ أسبابِهِ ومناسباتِهِ ومتقدمِهِ ومتأخرِهِ وناسخِهِ ومنسوخِهِ وذلكَ لا يُكَوِّنُ دراسةً متكاملةً إلا بمعرفةِ تواريخِ نزولِهِ على النبيِّ ﷺ[2].

ثانياً: أهمُ فوائدِ وحِكَمِ وأهدافِ تفسيرِ الآياتِ حسبَ ترتيبِ النزولِ:

ونذكرُ هنا طرفًا مما ذكرَهُ مَن اتبَّعوا هذا المنهجَ في التفسيرِ من الحِكَمِ والفوائدِ واللطائفِ التي تُستفادُ من هذا المنهجِ:

1- " إمكانُ متابعةِ السيرةِ النبويةِ زمنًا بعدَ زمنٍ، وإبرازُ التساوقِ والتطابقِ النسبيِّ بينَ مسارِ التنزيلِ ومسيرةِ الدعوةِ، كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدقّ، وبهذا وذاك يندمج القارئ في جوّ نزول القرآن وجوّ ظروفه ومناسباته ومداه، ومفهوماته وتتجلى له حكمة التنزيل"[3].

2- العصمة من الوقوع في خطأ اعتماد آية سابقة النزول في تدرج التشريع على ما نزل بعدها من تكميل أو بيان كاشف لأحكام المرحلة اللاحقة، وكذلك العصمة من الوقوع في خطأ تصور معارضة الآية السابقة لما نزل بعدها في موضوعها الذي تعالجه من موضوعات التكاليف والأحكام، ووسائل التربية، وطرائق الإصلاح، وأساليب الدعوة، وألوان الجهاد.

3- تتبع مراحل النزول للنصوص التربوية يكشف للباحث عن التدرج في الخطوات التربوية، والتكرير في استعمال العلاج التربوي، بغية تأثيره والحصول على الفائدة منه، كالعلاج الدوائي في مجال الصحة الجسدية، فالنصوص التربوية ذوات مراحل تدريجية توائم الحالة النفسية للفرد الذي تتوجه له بها أساليب التربية القرآنية، وتوائم الحالة النفسية والاجتماعية للمجموعة من الناس الذين تتوجه لهم بها أساليب التربية القرآنية، وكذلك النصوص الحركية في طرائق الإصلاح، وأساليب الدعوة، وألوان الجهاد[4].

4- الجمع بين الفهمِ للنَّصِّ القرآنيِّ والعمل الذي مارسَهُ جيلُ التنزيلِ، فالقراءة التنزيلية مهمتها التثبيت في الإيمان والعمل، وتعلم أن الكلمة التي تجمع الإيمان والعمل في مصطلح واحد هي كلمة الحكمة، لأن الحكمة هي تأدية الأعمال بالعلم، فتكون القراءة التنزيلية التثبيتية قراءة حكيمة، ويقرب من كلمة الحكمة في اللغة العربية كلمة السياسة، فالسياسة في اللغة العربية القيام على الأمور بما يصلحها، وهو لا يكون إلا باقتران العلم بالعمل، أي العمل بعلم، وعليه فان القراءة التنزيلية التثبيتية قراءة سياسية، وهذا ما يفسر الطبيعة التي انتهت إليها رسالة القرآن والدعوة المحمدية، وما أحدثته من تغيير سياسي في حياة العرب والجزيرة العربية والناس والعالم بأكمله، فالقراءة السياسية الهادفة تحتاج إلى القراءة التنزيلية والتنجيمية والتثبيتية في العلم والعمل،

(1) علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره، أحمد خالد شكري – عمران سميح نزال، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمَّان، الأردن، ط 1، ص 32 – 33.

(2) علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره، أحمد خالد شكري – عمران سميح نزال، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمَّان، الأردن، ط 1، ص 155.

(3) التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383 هـ، ج 1، ص 9. وانظر: فهم القرآن الحكيم – التفسير الواضح حسب ترتيب النزول – القسم الأول، محمد عابد الجابري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2008 م، ص 16.

(4) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط 1، 1400 هـ – 1980م، ص 55 – 56.

التثبيت في الإيمان والعمل الصالح[1].

5- الوقوف على حكمة التدرج في التشريعات وبناء المجتمع الجديد وفق هذه التشريعات الجديدة.

6- المساعدة على تصور منهج الحركة الإسلامية في البناء ومراحل الدعوة إلى الله خارج حدود الوقت والزمن الذي نزل فيه القرآن.

وخلاصةُ القولِ في مسألةِ التفسيرِ حسبَ ترتيبِ النزولِ أنَّ تتبع الآياتِ بحسبِ نزولِها ونجومِها والنظرِ فيها نظرةً تفسيريةً مرتبطةً بزمانِ ومكانِ وأحوالِ من نزلت عليهم لا يعني بحالٍ رفضَ الترتيبِ الحاليّ للنزولِ كما هو في المصحفِ، بل إنَّ ترتيبَ السورِ كما هو عليه في المصحفِ – على رأي أكثرِ العلماءِ – ترتيبٌ توقيفيٌّ لا يجوزُ تجاوزُهُ، ولمَّا كانَ توقيفيًّا وجبَ أن ينطوي هذا الترتيبُ على حكمٍ عظيمةٍ وفوائدَ جليلةٍ تتصلُ بالسياقاتِ الموضوعيةِ للسورِ القرآنيةِ وبلطائفَ بيانيةٍ ومضامينَ منهجيَّةٍ لا حصرَ لها.

ولكن هذا لا يعني بحالٍ رفضَ الاتجاهِ الآخرِ في التفسير بحسبِ النزولِ[2] والذي يعتني بالمزامنةِ بينَ نزولِ الآياتِ وأحداثِ السيرةِ للخروجِ بالمنهجِ القرآنيّ الإسلاميّ المتكاملِ في بناءِ المجتمعِ المسلمِ.

ومهما يكن الخلافُ في تحديدِ السابقِ من اللاحقِ في النزولِ فإنَّ كونَ دراستِنا موضوعيةً يتتبَّعُ فيها الباحثُ آياتٍ معينةً تجعلُ ضبطَ هذه المسألةَ أيسرَ إذ إنَّنا لن نقفَ عندَ كلِّ آيةٍ أو سورةٍ بل يكفينا في ضبطِ مسألةِ التدرّجِ معرفةُ الزمانِ التقريبيّ للنزولِ.

المبحث الأول: الدعوةُ بالقرآنِ هيَ المقصدُ الأولُ

دلت الآثارُ الصحيحةُ على أنَّ السورةَ التي تلت سورةَ اقرأ في النزولِ هي سورةُ المدثرِ[3]، وذلكَ بعدَ فترةِ الوحيِ، وقد حدَّثَ بذلكَ جابرٌ ﷺ عندَ البخاريّ[4].

بدأت هذه السورةُ بنداءٍ للداعي الأولِ صاحبِ الرسالةِ ببيانِ حكمةِ هذه الرسالةِ آمرةً إياهُ بالجدِّ والاجتهادِ في النذارةِ،﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ قُمۡ فَأَنذِرۡ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدثر: 1-7]، فموضوعُها الأولُ

(1) علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره، أحمد شكري وعمران نزال، مرجع سابق، ص 38.

(2) للوقوف أكثر على أراء العلماء حول هذه المسألة ينظر: منهج التعامل مع النص القرآني حسب ترتيب النزول – قراءة في كتاب الجابري فهم القرآن الحكيم، سليمان محمد الدقور، بحث مقدم إلى مؤتمر التعامل مع النصوص الشرعية (الكتاب والسنة) والذي عقدته كلية الشريعة بالجامعة الأردنية من 4 – 6/ 11/2008م، ص 10.

تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول (منبعه وفوائده، محمد مجلي أحمد ربابعة، بحث منشور في مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجّلد 37، العدد 1 – 2010م، عمادة البحث العلمي / الجامعة الأردنية.

ترتيب نزول السور وموقف الطاهر ابن عاشور منه، شافي سلطان العجمي، بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي، بتاريخ 2017/3 م، مج32, ع108، ص 11 وما بعدها.

أهمية العلم بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم ومصادره، أحمد خالد شكري* وعمران سميح نزال، بحث منشور بمجلة المنارة – مجلة علمية متخصصة – جامعة آل البيت، عمان، الأردن، بتاريخ 2004/12/26 م، ص 239.

ترتيب نزول القرآن، محمد علي الحسن، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية، ع 16، ص 17.

(3) انظر: صحيح السيرة النبوية (السيرة الذهبية)، محمد رزق الطرهوني، دار ابن تيمية، القاهرة، ط 1، 1410 هـ، ج 1، ص370، حاشية رقم 337.

(4) انظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط 3، 1407 هـ – 1987 م، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، ح: 4، ج1، ص 5.

ومقصودُها الأعظمُ الدعوةُ إلى اللهِ ودينِهِ[1]، وأداةُ الإنذارِ هذا القرآنُ الذي بدأت آياتُه في النزولِ تباعاً بدءاً بهذه السورةِ، وقد بيَّنت آياتُ الكتابِ العزيزِ أنَّ هذه الأداةَ الشريفةَ هي أهمُّ وأَولى أدواتِ الإنذارِ في مواضعَ كثيرةٍ منه تباعاً بحسبِ النزولِ في المرسلاتِ والأعرافِ ويس والفرقانِ ومريمَ والشعراءِ والقصصِ والأنعامِ وغافرٍ وفصلت والشورى والزخرفِ... إلخ.

ومن تلكَ البياناتِ القرآنيةِ فاتحةُ الأعرافِ: ﴿الٓمٓصٓ ۚ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 1–3]، فقولُه (لِتُنْذِرَ) متعلِّقٌ إما بالإنزالِ بياناً لعلتِه أو بالنهي على إضمارِ (أن تُنذِرَ) لأنَّه إن لم يخَفْهُم أنذرَهم[2]، ومرجعُ الضميرِ في (بِهِ) إلى هذا الكتابِ المُنزَلِ، فجمعت الآيةُ بينَ بيانِ العلةِ التي لأجلِها أنزلَ اللهُ القرآنَ وهي البلاغُ والدعوةُ وبينَ بيانِ أداةِ هذا البلاغِ وهي القرآنُ العظيمُ.

ومن تلكَ الآياتِ الصريحةِ في بيانِ تلكَ العلةِ والأداةِ معاً قولُه تعالى في الأنعامِ: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19]، أي: لأنذرَكم به أيها الموجودونَ في زمانِ الرسولِ ﷺ ومَن بلغَهُ هذا القرآنُ إلى يومِ القيامةِ[3].

ونظائرُ هاتَينِ الآيتَينِ مستفيضةٌ في كتابِ اللهِ عزَّ وعلا.

ولِمركزيةِ أمرِ البلاغِ والدعوةِ بالقرآنِ الكريمِ استمرَّت الآياتُ تأمرُ وتذكِّرُ به حتى أواخرِ السورِ نزولاً سورتَي المائدةِ والتوبةِ، –وهما آخر ما نزلَ من السورِ[4] – ففي المائدةِ يقولُ تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ٦٧﴾ [المائدة: 67]، فهذا أمرٌ من اللهِ تعالى لرسولِه ﷺ بإبلاغِ ما أنزلَ اللهُ إليهِ وتحذيرٌ له إن قصَّرَ عن بلاغِ آيةٍ بأن يكونَ على ذنبٍ عظيمٍ وكأنَّه لم يبلغ من كتابِ اللهِ شيئاً[5].

وفي التوبةِ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة: 32–33]، فإرسالُ الرسولِ لإظهارِ الدينِ، وقد تمَّ في عهدِ نزولِها النورُ وظهرَ الدينُ.

وتلحظُ معنًى لطيفاً في استهلالِ الموضوعِ – أعني موضوعَ الدعوةِ بالقرآنِ – واختتامِهِ، فهناكَ في المدثرِ التي هي أولُ ما نزلَ في شأنِ الدعوةِ أمرٌ عامٌّ بالإنذارِ، ثمَّ استمرَّ هذا الإنذارُ وتلكَ الدعوةُ بالقرآنِ، حتى نصلَ إلى هنا، آخرِ ما نزلَ فيختتمُ القرآنُ بالحالِ الذي نشأَ عن ذاكَ الأمرِ ألا وهو الظهورُ، ظهورُ هذا الدينِ وتمامُ هذا النورِ، فبدأَ بالدعوةِ وانتهى بالظهورِ، بدأ بالوسيلةِ فأثمرت النتيجةَ، وكأنَّها تقولُ لكلِّ داعٍ اتخذَ القرآنَ وسيلتَهُ في الدعوةِ إلى مُنزِلِهِ أنَّكَ لا ريبَ تبلغُ الظهورَ والتمامَ لهذا الدينِ إن اتخذتَ الهدى والنورَ وسيلةً لكَ في دعوتِكَ.

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (ج 39/21).

(2) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407 هـ، ج 2، ص86.

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، ت: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418م، ج 2، ص157.

(4) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ – 1974م، ج 1، ص43 وما بعدها.

(5) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ – 2000م، ج 10، ص467.

وقد برزت هذه الأهميةُ القصوى للبلاغِ أيضاً في حياةِ النبيّ ﷺ وفي أحاديثِه والتي منها حديثُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمروٍ عن النبيّ ﷺ: "بلِّغُوا عني ولو آيةً... الحديث"(1)، وحديثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عن النبيّ ﷺ: "نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ"(2).

ولذلكَ كانَ من اللطائفِ التفسيريةِ لمعنى (المدّثر) في أولِ آياتِ البلاغِ المتدثِّرُ بالنبوةِ والكمالاتِ النفسانيةِ على سبيلِ الاستعارةِ التمثيليةِ، أي: يا مَن حُمِّلَ أعباءَ النبوةِ قم واترك الراحةَ وتلبَّسْ بالجدِّ وأنذر، فالأمرُ بالإنذارِ يناسبُ معنى التدثُّرِ بالنبوةِ(3)، وقد حملَ النبيُّ ﷺ هذا التكليفَ واستجابَ لهذا النداءِ والأمرِ الربانيّ أحقَّ استجابةٍ كما تمثَّلَ هذا في حياتِه التي أثمرت خيرَ أمة أُخرجت للناسِ وسادت الجزيرةَ في قرابةِ ثلاثةٍ وعشرينَ عاماً فقط.

وبناءً على ما سبقَ يتبيَّنُ لنا مركزيةُ البلاغِ والدعوةِ في دينِ اللَّهِ بحيثُ يتحتمُ البلاغُ على كلِّ من بلغَه القرآنُ إذا امتلكَ القدرةَ على البلاغِ حتى وإن كانَ ليسَ لديه من العلمِ بما يُبلِّغُ سوى ما يقومُ به أصلُ الفهمِ لما يحملُ دونَ الإحاطةِ به.

ونعلمُ من خلالِ استعراضِ آياتِ البلاغِ والنذارةِ مدى ارتباطِ النذارةِ بأداتِها الأولى القرآنِ الكريمِ، إذ هو المصدرُ الأولُ والأهمُّ لوسائلِ الدعوةِ وأساليبِها، فهو الموعظةُ والتذكرةُ والذكرى والبشيرُ والنذيرُ والهدى والنورُ والرحمةُ... إلخ.

الفوائدُ المنهجيةُ والتربويةُ المستفادةُ ممَّا سبقَ

1- لم يلبث رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُلَملِمَ شعثَ خوفِه من مفاجأةِ الوحي له في غارِ حراءٍ في أولِ لقاءٍ بينَ أمينِ السماءِ وأمينِ الأرضِ، وما هي إلا أيامٌ لم تتجاوز الأربعينَ في أعدلِ الأقوالِ في فترةِ الوحيِ حتى عاجلَه الأمرُ الإلهي بأن ينهضَ مشمِّراً مجتهداً لينذرَ قومَه ويبلِّغَهم رسالةَ الحقِّ من السماءِ، ولو اجتهدَ الدعاةُ والمربُّونَ في تجسيدِ هذه الصورةِ الفذةِ الناطقةِ بركنيةِ البلاغِ في حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ودعوتِه، تجسيدِها في حياتِهم وجميعِ أحوالِهم حتى تصبحَ هيئةً راسخةً وسمتاً عاماً لهم لغيَّرَ اللَّهُ بهم أحوالَ هذه الأمةِ ولأسمعَ بهم آذاناً صماً ولفتحَ بهم عيوناً عمياً، ، ولا أقولُ هذا تشاؤماً ولكنَّ الناظرَ إلى تعدادِ هذه الأمةِ التي شارفَت على ألفَي مليونٍ(4) وعددَ مَن يحملونَ من أبنائها الشهاداتِ الشرعيةَ والدعويةَ بشتى أسمائها ومستوياتِها ثمَّ يرى أنها تقبعُ في ذيلِ الأممِ ويرى أعداءَها يُفسِدونَ من أبناءِها كلَّ يومٍ أفواجاً بما يمتلكونَ من أدواتِ التكنولوجيا الباهرةِ التي دخلت كلَّ بيتٍ والأمةُ تتفرَّجُ ولا تكادُ تراوحُ مكانَها، يدركُ يقيناً كم قصَّرت هذه الأمةُ بمجموعِها في ركنِ البلاغِ والدعوةِ معَ أنَّ اللَّهَ حباها أعظمَ أداةٍ يفتحُ اللَّهُ بها قلوبَ البشرِ بمجردِ أن تلامسَ شغافَ قلوبِهم فضلاً عن بلوغِ معانيها عقولَهم، تلكَ الأداةُ هي هذا القرآنُ العظيمُ المجيدُ المباركُ.

2- يحتوي القرآنُ المجيدُ على أكبرِ مذخورٍ من الوسائلِ والأساليبِ الدعويةِ والتي كتبَ في استخراجِها آلافُ الأبحاثِ والرسائلِ العلميةِ فهل وجدت تلكَ الأبحاثُ مكانَها إلى المؤسساتِ والهيئاتِ والحركاتِ الدعويةِ كي تترجمَها واقعاً على أرضِ الدعوةِ إلى

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، مرجع سابق، كتاب الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، ح 3274، ج 3، ص 127.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: شعَيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط 1، 1430 هـ – 2009 م، أول كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، ح 3660، ج 5، ص 501. قال محقق الكتاب: صحيح.

(3) انظر: حاشيتَي القونوي وابن التمجيد على البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد القونوي – مصلح الدين بن إبراهيم الرومي ابن التمجيد، ت: عبد الله محمود مُحَمَّد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422 هـ – 2001 م، ج 19، ص 402.

(4) بحسب دراسة لمركز بيو للأبحاث نُشرت عام 2015 كان هناك 1.8 مليار مسلم في العالم، يشكلون ثاني أكبر الجماعات الدينية بعد المسيحيين. انظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) على شبكة الإنترنت: https://ar.wikipedia.org/wiki/النمو_السكاني_للمسلمين

اللَّهِ وكي تستفيدَ منها في تأهيلِ المسلمينَ أجمعينَ ليحملوا أمانةَ هذا الدينِ؟

3- على مستوى الفردِ المسلمِ ينبغي أن تعتنيَ مؤسساتُنا التعليميةُ والدعويةُ أيَّما اعتناءٍ بزرعِ قيمةِ وأهميةِ وحسِّ الدعوةِ إلى اللَّهِ والمبادرةِ إلى تبليغِ هذا الدينِ بالكتابِ العزيزِ في قلوبِ وكيانِ أبناءِ أمتِنا حتى يحملَ أمانةَ هذا الدينِ كلُّ مسلمٍ بحسبِ ما حُمِّلَ من القرآنِ فينتشرَ في الأرضِ انتشارَ العشبِ الأخضرِ اليانعِ في الأرضِ الجرداءِ.

المبحث الثاني: البناءُ الروحيُّ بالقرآنِ

تتَّكئُ هذه اللَّبِنَةُ من لبناتِ البناءِ التدرُّجيِّ التنزُّليِّ في بناءِ العلاقةِ بينَ الإنسانِ والقرآنِ على تحديدِ زمانِ نزولِ سورةِ المزملِ والتي جاءَ الأمرُ في فاتحتِها للنبيِّ ﷺ بالفزعِ إلى قيامِ الليلِ، فقد وقعَ اضطرابٌ كثيرٌ في تحديدِ زمانِ نزولِ هذه السورةِ [1]، فمِن قائلٍ أنها من أوائلِ ما نزلَ، وأنها كلَّها مكيةٌ، وقائلٍ أنها نزلت أواخرَ العهدِ بمكةَ، وقائلٍ أنها كلَّها مدنيةٌ، وقائلٍ أنَّ بعضَها مكيٌّ وبعضَها مدنيٌّ، ولذا وجبَ تحريرُ القولِ في زمانِ نزولِها كي نبنيَ عليه هذه الخطوةَ المنهجيةَ.

والقولُ بأنَّ سورةَ المزملِ من أوائلِ ما نزلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بمكةَ هو قولُ جمهورِ المفسرينَ – على خلافٍ بينَهم في ترتيبِها بينَ تلكَ الأوائلِ –[2]، وسنذكرُ أدلَّتهم وما وردَ عليها من اعتراضاتٍ وردودٍ على تلكَ الاعتراضاتِ:

1- الثابتُ في روايةِ الصحيحَينِ[3] أنَّ النبيَّ ﷺ لما رجعَ إلى حراءٍ بعدَ فترةِ الوحيِ ورأى الملَكَ الذي جاءَهُ ب(اقرأ) فرِقَ منه ورجعَ إلى خديجةَ رضي الله عنها قائلاً (زمّلوني زمّلوني) وفي الرواياتِ الأخرى (دثّروني دثّروني) فنزلت سورةُ المدَّثِّرِ، فوصفُ اللَّهِ نبيَّهُ في سورةِ المزملِ بهذا الوصفِ يتطابقُ معَ الحالةِ واللفظِ الذي قالَه النبيِّ ﷺ ولذا قالَ المفسرونَ إنَّ سببَ نزولِ سورةِ المدثرِ هو ذاتُه سببُ نزولِ سورةِ المزملِ فكانَ نزولُهما متقارباً متلازماً من بابِ تعدُّدِ النازلِ والسببُ واحدٌ[4].

ورُدَّ بأنَّ هناكَ روايةً أخرى وردت في سببِ نزولِ هذه السورةِ تبيّنُ أنَّ نزولَها كانَ بعدَ ائتمارِ قريشٍ في دارِ الندوةِ للطعنِ في رسولِ اللَّهِ ﷺ فعن جابر ﷺ قال: "اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت سموا هذا الرجل اسما يصدر عنه الناس قالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه فتدثر

(1) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ، ج 29، ص252 – 254.

(2) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز أبادي، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ – 1996م، ج 1، ص98.

البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط 1، 1376 هـ – 1957 م، ج 1، ص193.

الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، مرجع سابق، ج 1، ص 96.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415 هـ، ج 15، ص113.

التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، مرجع سابق، ج 1، ص 407.

(3) هي رواية جابر بن عبد الله في حديثه عن فترة الوحي، سبق تخريجها عند البخاري، ص: 7. وأخرجها مسلم في صحيحه، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح 255، ج 1، ص 143.

(4) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جُزَي الكلبي الغرناطي، ت: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط 1، 1416 هـ، ج 2، ص422.

وانظر: إشراقات قرآنية – حزب المفصل،سلمان بن فهد العودة، مؤسسة الإسلام اليوم للنشر، 1436 هـ، ج 3، ص42.

فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر"، وقد وصفَ السيوطيُّ سندَ هذه الروايةِ بـ(واهٍ)[1]، وقالَ الهيثميُّ بعدَ أن ذكرَ هذا الحديثَ: وَفِيهِ مُعَلَّى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَاسِطِيُّ وَهُوَ كَذَّابٌ[2].

2- التسويفُ بالسين في قولِه تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: 5]، دليلٌ بيّنٌ على أنَّ هذه الآيةَ تهيئةٌ لنفسِ النبيِّ ﷺ لتحمُّلِ شدةِ الوحيِ الذي سينزلُ ويتتابعُ[3]، فتكونُ السورةُ من أوائلِ ما نزلَ تُعِدُّ النبيَّ ﷺ بقيامِ الليلِ لتحمُّلِ أعباءِ الدعوةِ.

ورُدَّ بأنَّ القولَ الثقيلَ في الآيةِ هو الأمرُ بالهجرةِ والإذنُ بالقتالِ[4]، وهذا القولُ الذي ذهبَ إليه الجابريُّ يخالفُ إجماعَ السلفِ بأنَّ القولَ الثقيلَ هو القرآنُ الكريمُ وإنما اختلفوا في معنى ثِقَلِه[5].

واعتُرِضَ أيضاً بأنَّ الصلاةَ فُرضت بعدَ حادثةِ الإسراءِ، أي في أواخرِ العهدِ بمكةَ، فكيفَ تكونُ المزملُ من أولِ ما نزلَ وفيها الأمرُ بالصلاةِ؟![6]

والصحيحُ المقطوعُ به[7] أنَّ الصلاةَ كانت معروفةً قبلَ فرضِ الصلواتِ الخمسِ في حادثةِ الإسراءِ، بل إنَّ النبيَّ ﷺ في نفسِ حادثةِ الإسراءِ وقبلَ أن يُعرجَ به إلى السماءِ صلى بالأنبياءِ ركعتين كما ثبت عندَ مسلمٍ وفيه "ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ"[8]، وفي حديثِ الهجرةِ إلى الحبشةِ – والتي يكانت قبلَ حادثةِ الإسراءِ[9] – وفيه قالَ جعفرُ للنجاشيّ: "وأمرَنا بالصلاةِ والزكاةِ والصيامِ..."[10].

وفي سورةِ الشرحِ – وهي من أوائلِ ما نزلَ بمكةَ – قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧﴾ [الشرح: 7]، قالَ الطبري: "أي: إذا فرغتَ من صلاتِك فانصب إلى ربّك بالدعاء"[11].

واعتُرِضَ أيضاً بما رواهُ مسلمٌ في صحيحِه أن عائشة – رضي اللَّه عنها – قالت لسعد بن هشام: ألست تقرأ يا أيها المزمل؟" قلت: بلى، قالت: "فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه

(1) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ص 204 – 205.

(2) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ – 1994 م، ج 7، ص 130.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ج 29، ص 261.

(4) انظر: التفسير الواضح – فهم القرآن الحكيم، الجابري، مرجع سابق، ج 2، ص 314.

(5) انظر: تفسير الطبري، مرجع سابق، ج 23، ص 681 – 682.

(6) انظر: ترتيب نزول السور وموقف الطاهر بن عاشور منه، شافي العجمي، مرجع سابق، ص 18.

(7) يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، بتعليقات الشيخ عبد العزيز بن باز، دار المعرفة – بيروت، 1379 م، ج 8، ص 671.

(8) انظر الحديث بطوله عند مسلم برقم 259، ج 1، ص 145، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات.

(9) انظر: السيرة النبوية الصحيحة – محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 6، 1415 هـ – 1994 م، ج 1، ص 169.

(10) جزء من حديث، أخرجه أحمد في مسنده، أحمد بن حنبل الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ – 2001 م، ح 1740، ج 3، ص 266، قال محقق الكتاب: إسناده حسن.

(11) تفسير الطبري، مرجع سابق، ج 24، ص 496.

حولا، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء"[1]، وهذا يدل على أن خاتمة سورة المزمل نزلت بعد مقدمتها بسنة، وفي الخاتمة: حديث عن القتال في سبيل الله في قوله: وآخرون يقاتلون في سبيل الله، وهذا أشبه بآخر العهد المكي[2].

قلتُ: قولُ عائشةَ رضي الله عنها متعيّنٌ سيَّما أنَّه ثابتٌ في الصحيحِ، لكنَّ غيرَ المُسَلَّمِ أن نبنيَ عليه حتميةَ تأخرِ نزولِ السورةِ إلى آخرِ العهدِ المكيِّ أو أولِ المدنيِّ استناداً إلى أنَّ بينَ أولِها وآخرِها سنةً، وأنَّ آخرَها يذكرُ القتالَ الذي لم يكن إلا بالمدينةِ أو الإذنَ به في آخرِ العهدِ بمكةَ، بل الصحيحُ الوقوفُ على لفظِ الآيةِ المتأخرةِ والذي فيه {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ...} فلفظُ الآيةِ ظاهرٌ في الاستقبالِ فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى امْتَنَّ عَلَيْهِمْ بِتَعْجِيلِ التَّخْفِيفِ قَبْلَ وُجُودِ الْمَشَقَّةِ الَّتِي علم أَنَّهَا ستقع لَهُم[3]، فيكونُ هذا من بابِ الإنباءِ بمُغَيَّبٍ على وجهِ المعجزةِ[4].

وبناءً على العرضِ السابقِ يترجحُ للباحثِ أنّ سورةَ المزملِ اقترنت بسورةِ المدثرِ في النزولِ وإنما قدمنا سورةَ المدثرِ عليها لروايةِ جابرٍ في الصحيحِ، وسواءٌ أكانت بعضُ آياتِها مدنيةً أم هي كلُّها مكيةٌ فلن يؤثرَ هذا على موضعِها في لبناتِ بناءِ بحثِنا هذا إذ إنَّ متَّكأَ العبرةِ في بحثِنا على آياتِها السبعةِ الأولى والتي هي مكيةٌ بالإجماعِ المترجّح آنفاً.

أمَا وقد فرغنا من تقريرِ الزمانِ التنزُّليّ لهذه السورةِ فلنشرع الآنَ في بيانِ ما قرَّرتُه هذه السورةُ وأخواتُها في مرحلةِ البناءِ الروحيِّ والإيمانيِّ للإنسانِ بالقرآنِ.

المطلب الأول: صلاةُ القيامِ بالقرآنِ.

جاءَ الأمرُ الإلهيُّ أولاً لرسولِ اللهِ ﷺ بالإنذارِ – كما رأينا سابقاً – بعدَ فترةِ الوحيِ مباشرةً، ولما كانت النذارةُ تجلبُ على صاحبِها ما تجلبُ من معاناةِ التكذيبِ والإعراضِ والسخريةِ، وهي أيضاً تتطلبُ نفساً قويةً عميقةَ الإيمانِ بما تدعو إليه، راسخةً في يقينِها، متعلّقةً كلَّ التعلُّقِ بمن أمرَها بالبلاغِ، احتاجَ صاحبُ الدعوةِ الأولُ لزادٍ روحانيٍّ لا ينقطعُ، يَبثُّ في روحِه اليقينَ والثباتَ والقوةَ والعزمَ والجسارةَ على الاستمرارِ في مهمةِ البلاغِ فجاءَ نزولُ سورةِ المزملِ بعدَ المدثرِ يأمرُ الداعي الأولَ بإحياءِ ليلِه بالصلاةِ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: 1–4].

وأداةُ البناءِ الروحيِّ هنا هي القرآنُ الكريمُ {ورَتِّلِ القرآنَ ترتيلاً} أي: وأنتَ متلبسٌ بصلاةِ القيامِ[5] وذلكَ تهيئةً لكَ لتحَمُّلِ القولِ الثقيلِ، سواءٌ في حملِه والبلاغِ به، أو في أحكامِه والعملِ به[6]، "ولا يحصل ذلك الاستعداد إلا بصلاة الليل، فإن الإنسان في الليلة الظلماء إذا اشتغل بعبادة الله تعالى وأقبل على ذكره والثناء عليه، والتضرع بين يديه، ولم يكن هناك شيء من الشواغل الحسية والعوائق الجسمانية استعدت النفس هنالك لإشراق جلال الله فيها، وتهيأت للتجرد التام، والانكشاف الأعظم بحسب الطاقة البشرية، فلما كان لصلاة الليل أثر في صيرورة النفس مستعدة لهذا المعنى لا جرم قال: إني إنما أمرتك بصلاة الليل لأنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً، فصَيِّر نفسك مستعدةً لقبول ذلك المعنى، وتمام هذا المعنى ما قال ﷺ: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، ح 139، ج 1، ص 512.

(2) ترتيب نزول السور وموقف الطاهر بن عاشور منه، شافي العجمي، مرجع سابق، ص 18.

(3) فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ج 1، ص 465.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ج 29، ص 253.

(5) وقد ذهب بعض المفسرين كالإمام ابن عاشور إلى أن الأمر بالترتيل أمر مستقل عن تلبسه بقيام الليل لشموله القراءة في صلاة الليل وغيرها. انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، (ج 260/29).

(6) انظر: تفسير الطبري، مرجع سابق، ج 23، ص 681.

فتعرضوا لها"[1]"[2].

وصلاةُ الليلِ – حالاً بالقربِ من اللهِ واستشعارِ القيامِ بينَ يديهِ، ووقتاً بالسكونِ والانقطاعِ عن كلِّ شاغلٍ – أهيأُ ما تكونُ لتدبرِ هذا القرآنِ وفهمِه والتفاعلِ مع آياتِه ولذا فقد عقَّبَ الأمرَ بالقيامِ بالجملةِ الخبريةِ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦﴾ [المزمل: 6] والتي تحملُ معنى التعليلِ المشعرِ به حرفُ التوكيدِ (إنَّ)، والمتضمِّنةِ لخبرَينِ يجلِّيانِ فائدةَ هذا القيامِ على توثيقِ علاقةِ الإنسانِ بالقرآن:

1- ﴿أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾: قرأ أبو عمروٍ وابن عامرٍ (وِطَاءً) بكسرِ الواوِ وألفٍ قبلَ الهمزةِ، والباقونَ (وَطْأً)[3]، فالمعنى على قراءةِ البصريِّ والشاميِّ من المواطئةِ أي الموافقةِ، أي: يواطئُ القلبُ فيها اللسانَ، أو أشدُّ موافقةً لما يُرادُ من الإخلاصِ والخشوعِ، والمعنى على قراءةِ الباقين من الوَطْأَةِ أي الثِّقَلِ والثباتِ، أي: أشدُّ ثباتَ قدمٍ وأبعدُ من الزللِ، أو أثبتُ قراءةً وقياماً، أو أشدُّ نشاطاً، أو أشدُّ دواماً لأنَّ الليلَ وقتَ فراغٍ[4].

2- ﴿أَقۡوَمُ قِيلٗا﴾: أي: أشدُّ استقامةً على الصوابِ، أو أصوبُ للقراءةِ وأثبتُ للقولِ لأنَّه زمانُ التفهمِ، أو أتمُّ نشاطاً وإخلاصاً وبركةً، أو أجدرُ أن يتفقَّهَ فيها القارئُ، أو أعجلُ إجابةً للدعاءِ[5].

وكلُّ ما وردَ عن السلفِ أعلاهُ في معاني شدةِ الوطْئِ وتقويمِ القيلِ محتمِلٌ يسعُه لفظُ القرآنِ، وهي معانٍ تُوَسِّعُ مدلولاتِ الآيةِ لتتضحَ بها الآثارُ الجمَّةُ لهذه العلاقةِ العظيمةِ المباركةِ بينَ القيامِ والقرآنِ وأثرِ كلِّ واحدٍ منهما على قرينِه.

ومن بديعِ بلاغةِ التعبيرِ القرآنيِّ ما يسميه البلاغيونَ ائتلافُ اللفظِ معَ اللفظِ ومعَ المعنى[6]، وهو هنا بينَ لفظَي (المزمل) و(ثقيلاً)، فأحدُ أصلَي (زَمُلَ) يدلُّ على حملِ ثِقلٍ من الأثقالِ[7]، ثمَّ منه أُخِذَ معنى التزمُّلِ بالثيابِ أي التلفُّفِ بها، فاختيارُ هذا اللفظِ خاصةً يأتي ليلتئمَ معَ لفظِ (ثقيلاً في الآيةِ بعدَه، فينشأَ عن ائتلافِهما استحضارُ معنى الثِّقَلِ والحِملِ الذي تحمَّلَه رسولُ اللهِ ﷺ بنزولِ القرآنِ عليه وبأمرِه بالبلاغِ وبقيامِ الليلِ بالقرآنِ تزويداً لهذه النفسِ من أعظمِ زادٍ يُعطاه الداعي إلى اللهِ ويقوي هذا الفهمَ قولُ عكرمةَ في (المزمل) أي الذي زُمِّلَ النبوةَ والرسالةَ[8].

والخطابُ في هذه السورةِ – وإن كانَ أصالةً موجهاً إلى النبيِّ ﷺ – فإنَّه يعمُّ كلَّ مسلمٍ من شأنِه أن يدعوَ إلى اللهِ تعالى والحالُ أنَّه قد تلفَّفَ بثيابِ أعذارِه أو مخاوفِه، ألا ترى أنَّه خاطبَ النبيَّ بالوصفِ المشتقِّ من فعلِه – اسم الفاعل (المزمل) –

(1) ذكر الألباني له شاهداً حسناً في السلسلة الصحيحة برقم 1890، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1415 هـ – 1995 م، ج 4، ص 511.
والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم 519، أبو القاسم الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار ابن تيمية، القاهرة، ط 2، 1415 هـ 1994 م، ج 19، ص 233.

(2) التفسير الكبير – مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420هـ، ج 16، ص 108.

(3) انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ص 330.

(4) انظر: حجة القراءات، عبد الرحمن ابن زنجلة، ت: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، (ص 730–731).

(5) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ، ج 10، ص 315، بتصرف يسير.

(6) يُنظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1416 هـ – 1996 م، ج 2، ص 52.

(7) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ – 1979 م، ج 3، ص 25.

(8) انظر: تفسير الطبري، مرجع سابق، ج 23، ص 676.

والمؤذنِ باشتراكِ كلِّ من اتصفَ بتلكَ الصفةِ مع المخاطبِ في الخطابِ[1]، وقد فهمَ صحابةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ هذا الفهمَ فقاموا معَهُ كما نصت الآيةُ الأخيرةُ في السورةِ ﴿۞إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: 20]، وكما أخبرت عائشةُ – رضي الله عنها – في الحديثِ السابق[2].

فمما سبقَ ومن خلالِ النظرِ في الآياتِ الأولى للسورةِ (1 – 10) يتضحُ أنَّ هناكَ مرتكزاتٍ للبناءِ الروحيِّ للداعي إلى اللَّهِ تعالى وهي:

قيامُ الليلِ، ترتيلُ القرآنِ، المداومةُ على ذكرِ اللَّهِ، الانقطاعُ إلى اللَّهِ والإخلاصُ له، الاعتمادُ على اللَّهِ وتفويضُ الأمرِ إليه، الصبرُ[3].

وقد استمرَّ هذا المنهجُ القرآنيُّ في تربيةِ الداعي الأولِ بصلاةِ القيامِ التي قوامُها وروحُها التي تسري فيها القرآنُ العظيمُ، فتكرَّرَ الأمرُ للنبيِّ ﷺ في سورةِ الإنسانِ ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإنسان: 25–26]، ثمَّ في هودٍ ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: 114]، ففي روايةٍ عن ابن عباس: {زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ} هي صلاة القيامِ[4]، ثمَّ في الإسراءِ أواخرَ العهدِ بمكةَ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: 79].

ورافقَ هذه التربيةَ للداعي الأولِ تربيةً لأتباعِه ولكلِّ مؤمنٍ بصلاةِ القيامِ بالقرآنِ العظيمِ وذلكَ بمدحِ أهلِ القيامِ: تارةً باندراجِهم في أهلِ العلمِ، العلمِ باللهِ وحقيقةِ هذه الدنيا، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: 9]. وتارةً بجعلِ صفةِ القيامِ أولَ وأبرزَ صفاتِ المتقينَ أهلِ الجنةِ والنعيمِ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: 15–18]. وتارةً ثالثةً بجعلِ قيامِ الليلِ شارةَ الإيمانِ بآياتِ اللَّهِ وخشيتِه، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: 15–16]. ومرةً رابعةً بجعلِ هذه الصلاةِ العظيمةِ علامةً مميّزةً لعبادِ الرحمنِ المنتسبينَ إليه سبحانَه ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: 63–64].

(1) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، مرجع سابق، ج 2، ص 422.

(2) انظر الحديث ص: 13.

(3) انظر: مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم في ضوء مطلع سورة المزمل، عبد الله أحمد الزيوت، بحث منشور في مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، مجلد 1, عدد 50 (2019) > الصفحات: 44 – 55، ص 48 وما بعدها.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي، ت: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط 3، 1419هـ، ج 6، ص 2091.

المطلب الثاني: تلاوةُ القرآنِ سلاحُ الداعي الأولُ.

رأينَا كيفَ تجلَّت العلاقةُ بينَ القرآنِ والقيامِ به في بناءِ روحِ الداعي إلى اللَّهِ المفعمةِ بالهمَّةِ العاليةِ، وأثرَ هذا القيامِ بما أُحيطَ به من أجواءٍ إيمانيةٍ نقيةٍ على فهمِ القرآنِ وتدبرِه والتفاعلِ معه، ومن هنا كانَ القرآنُ الأداةَ الأولى والأهمَّ في هذا البناءِ الروحيِّ من جهةٍ، والسلاحَ الأقوى والأبرزَ للداعي إلى اللَّهِ في فتحِه لقلوبِ المدعوينَ من جهةٍ أخرى، وسنتحدَّثُ عن هذا السلاحِ الإيمانيِّ الدعويِّ في النقاطِ الآتيةِ:

- **أولاً: ترتيلُ القرآنِ للبيانِ والدعوةِ:**

وقد بدأَ هذا الارتباطُ المتينُ بينَ القرآنِ والداعي به معَ أولِ كلماتِ الوحيِ الآمرةِ بقيامِ اللَّيلِ فقالَ تعالى لنبيِّه ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: 1–4]، ورتِّل: "معناه في اللغة تمهل وفرق بين الحروف لتبين. والمقصد أن يجد الفكر فسحة للنظر وفهم المعاني، وبذلك يرق القلب ويفيض عليه النور والرحمة"[1].

وقد تجلَّت العنايةُ الربانيةُ بصاحبِ الدعوةِ الأولِ في جمعِ القرآنِ في صدرِه فلا ينساه أبداً إعانةً له على التفرغِ للتدبرِ والدعوةِ بهذا القرآنِ، حيثُ إنَّه صاحبُ البلاغِ فلا يكونُ البلاغُ إلا به ومنه فوجبَ ألا يُنَسَّى القرآنَ، قالَ تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القيامة: 16–19]، وقالَ ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ [الأعلى: 6].

فلمَّا استقرَّ القرآنُ في قلبِ النبيِّ ﷺ صارَ شغلُه الشاغلِ تلاوةَ القرآنِ على الناسِ داعياً مُذَكِّراً مبيّناً مُنذِراً مبشِّراً، فلمَّا كانت الدعوةُ الجهريةُ وزادَ أذى المشركينَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ والذينَ معَه، وزادَ كيدُهم لهذا القرآنِ، نزلت عليه سورةُ الفرقانِ تأمرُه بأن يجاهدَ المشركينَ بهذا القرآنِ، جهادَ حجةٍ وبيانٍ، وبصائرَ ولسانٍ، ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢﴾ [الفرقان: 51-52]، ففي الآيةِ تهييجٌ للنبيِّ ﷺ والمؤمنينَ بألَّا يطيعوا الكافرينَ على مرادِهم في إبطالِ الحقِّ وبمقابلةِ ذلكَ بالاجتهادِ في إبطالِ باطلِهم بالقرآنِ بما فيه من الحججِ[2].

ولمَّا اشتدَّ تعذيبُ المشركينَ له ولأصحابِه قبيلَ الهجرةِ إلى الحبشةِ أمَرَه اللَّهُ في سورةِ النملِ أن يقولَ لقومِه أنَّ تلاوةَ القرآنِ عليهم هي أمرُ اللَّهِ له فلا محيدَ عنه مهما كذَّبتُم وصددتُم وأعرضتُم، ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝٩٢﴾ [النمل: 91–92]، أي: "وأُمِرتُ أيضاً أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ المنزلَ علي من عند ربي وأداوم على تلاوته بين أظهُرِ الأنامِ لأنه أوحي إليّ للهدى والرشد بالنسبة الى عموم العباد"[3].

ثمَّ عادت الآياتُ لتؤكِّدَ هذه الحقيقةَ الحتميةَ من جديدٍ في سورةِ الإسراءِ ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422هـ، ج 5، ص 387.

(2) انظر: تفسير البيضاوي، مرجع سابق، ج 4، ص 128.

(3) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخشواني – المعروف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط 1، 1419 هـ – 1999 م، ج 2، ص 74.

تَنزِيلًا﴿١٠٦﴾ [الإسراء: 106]، أي: نزَّلنا هذا القرآنَ منجَّماً بحسبِ الوقائعِ والأحداثِ، وعلى مقتضى الحكمةِ، وبيَّنَّاه وأوضحناه كي تُبلِّغَه أيها الرسولُ للناسِ وتتلوَه عليهم على مهَلٍ في المدةِ وترَسُّلٍ في التلاوةِ[1].

- **ثانياً: تلاوةُ القرآنِ والدعوةُ به السِّمَةُ المُمَيِّزَةُ للداعي إلى اللَّهِ:**

وقد امتدحَ اللَّهُ نبيَّه بكونِ تلاوةِ القرآنِ من أخصِّ شؤونِه ﷺ في نفسِه وفي الناسِ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴿٦١﴾ [يونس: 61]، ففي الآيةِ تنويهٌ بالنبيِّ ﷺ بجليلِ أعمالِه حيثُ بدأ بذكرِ الشأنِ أي العملُ والحالُ المهمُّ ثم عطفَ عليه تلاوةَ القرآنِ من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِ للاهتمامِ بهذا الشأنِ الخاصِّ حيثُ إنَّ التلاوةَ أهمُّ شؤونِ النبيِّ ﷺ وذلكَ في نفسِه وعلى الناسِ[2].

- **ثالثاً: تثبيتُ قلبِ الداعي إلى اللَّهِ فائدةٌ أخرى لسلاحِ القرآنِ:**

وفي خِضَمِّ المرحلةِ الجهريةِ للدعوةِ إلى اللَّهِ ومعَ اشتدادِ صنوفِ التعذيبِ والكيدِ لدعوةِ النبيِّ ﷺ، ومعَ شبهةٍ جديدةٍ يُلقيها المشركونَ على هذا القرآنِ إمعاناً في تخذيلِ المؤمنينَ عنه وتيئيسِ النبيِّ ﷺ من الدعوةِ به تتنزَّلُ سورةُ الفرقانِ، سورةٌ عظيمةٌ من سُوَرِ القرآنِ العظيمِ، مقصدُها إظهار شرف الداعي ﷺ بإنذار المكلفين عامة بهذا القرآن العظيم.[3]، تتنزلُ وهي تردُّ على شبهةِ المشركينَ قائلةً: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةًۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴿٣٣﴾ [الفرقان: 32-33].

قالَ المشركونَ تشكيكاً في طريقةِ نزولِ هذا القرآنِ هلَّا نزلَ القرآنُ على محمدٍ دفعةً واحدةً غيرَ مفرَّقٍ كما نزلت التوراةُ والإنجيلُ والزبورُ؟ واعتراضُهم هذا لا فائدةَ فيه لأنَّ الإعجازَ الذي هو شاهدُ صحةِ القرآنِ مما لا يختلفُ القرآنُ بنزولِه جملةً أو مفرَّقاً، بل إنَّ لتنجيمِه فوائدَ ذكرَ منها هاهنا تثبيتَ قلبِ النبيِّ ﷺ بأمورٍ: (1- تيسيرُ حفظِه، 2- فهمُ معانيه، 3- ضبطُ الكلامِ، 4- الوقوف على تفاصيل ما روعي فيه من الحكم والمصالح، 5- تعدد نزول جبريل عليه السلام، 6- تجدد إعجازه للطاعنين فيه في كل جملة مع كل أقصر سورة تنزل منه)[4].

ومن أعظمِ الفوائدِ التي تعودُ على الداعي بنزولِ الفرقانِ مفرَّقاً، ومن بعدُ بتلاوتِه مجدَّداً بحيثُ يردُ المتلوُّ على القلبِ كما كانَ يردُ النازلُ على الداعي الأولِ، تقويةُ الداعي على القيامِ بأعباءِ الرسالةِ، وبعثُ همتِه كلَّما فترت، وتثبيتُ عزيمتِه كلَّما خارَت[5]، فالداعي يتعرضُ في مسيرةِ دعوتِه لمواقفَ تزلزلُ، فكلما تعرَّضَ لموقفٍ من هذه المواقفِ جاءت تلاوةُ القرآنِ تسليةً له وتثبيتاً وَصِلةً بالسماءِ لا تنقطعُ، ولو نزلَ القرآنُ مرةً واحدةً لكانَ التثبيتُ مرةً واحدةً، ثمَّ تأتي بقيةُ الأحداثِ بدون تثبيتٍ، ولا شكَّ أن الصلةَ بالسماءِ تُقوِّي المنهجَ وتُقوِّي الإيمانَ[6].

---

(1) انظر، التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1422هـ، ج 2، ص 1396.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ج 11، ص 212.

(3) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1408هـ – 1987م، ج 2، ص 317.

(4) انظر: تفسير الألوسي، مرجع سابق، ج 10، ص 15 – 16.

(5) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ، ج 7، ص427.

(6) انظر: تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997 م، ج 17، ص 10435.

- **رابعاً: تلاوةُ القرآنِ للتعليمِ والتزكيةِ في العهدِ المدنيّ:**

أمَا وقد ثابَ الناسُ إلى الإيمانِ بعدَ جهدِ سنيّ الدعوةِ في مكةَ، وانتقلت الجماعةُ المسلمةُ من عهدِ الاستضعافِ إلى عهدِ الدولةِ في المدينةِ، وبدأت مسيرةُ بناءِ المجتمعِ بشتى احتياجاتِه الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والسياسيةِ والقضائيةِ... إلخ فقد أُضيفَ إلى معنى الدعوةِ بالقرآنِ مقصودٌ جديدٌ، فبعدَ أن كانَ مقصودُها محاجَّةَ المشركينَ وإبطالَ باطلِهم، وتثبيتَ المؤمنينَ وإصلاحَ عقائدِهم تطلَّبَ المجتمعُ الجديدُ تعليمَ المؤمنينَ قواعدَ شتى في الأحكامِ التي تُنظِّمُ حياتَهم ومعاملاتِهم وعلاقاتِهم وتُنقِّيَ عقيدَتَهم من شوائبِ الموالاةِ لليهودِ والنصارى والمنافقينَ، وتزكِّي أنفسَهم من رذائلِ الأخلاقِ، فجاءَ الكتابُ العزيزُ بخمسِ آياتٍ منها أربعٌ متشابهاتٌ تؤكِّدُ على هذا المعنى.

- **الأولى: دعوةُ أبي الأنبياءِ إبراهيمَ ﷺ:** ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة: 129]، فهوَ رسولٌ وسيلتُه الأولى في دعوتِه تلاوةُ الآياتِ، وغرضُه من التلاوةِ تعليمُ الناسِ القرآنَ والمعرفةَ بالدين، والفقهَ في التأويلِ، والسنَّةَ وبيانَ الشرائعِ، والحُكمَ والقضاءَ، وتطهيرُ الناسِ من الشركِ[1].
- **الثانيةُ: آيةُ نعمةِ إرسالِ النبيّ ﷺ في البقرةِ:** ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ [البقرة: 151]، سمَّاه أولاً آياتٍ باعتبارِ كونِه معجزاً، وسمَّاه ثانياً كتاباً باعتبارِ كونِه كتابِ تشريعٍ، وعبَّرَ بالمضارعِ (يتلو) لأنَّ نزولَ القرآنِ مستمرٌّ وتلاوةَ النبيّ ﷺ له متواليةٌ، والتزكيةُ تطهيرُ النفسِ من كلِّ ما يعتريها من النقصِ، وتثميرُ الخيرِ المركوزِ في فطرتِها، وتعليمُ الكتابِ أي الشريعةِ، والحكمةُ هي التعاليمُ المانعةُ من الوقوعِ في الخطأِ والفسادِ[2].
- **الثالثةُ: آيةُ المنةِ بمبعثِ النبيّ ﷺ في العربِ في آل عمران:** ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: 164].
- **الرابعةُ: آيةُ المنةِ على الأُمّيّينَ في الجمعةِ:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ [الجمعة: 2].

وقد حوَت هذه الآياتُ لطائفَ:

1- لماذا أُخرت التزكيةُ في آيةِ دعوةِ إبراهيمَ ﷺ وقُدِّمت في بقيةِ الآياتِ؟

في دعوةِ إبراهيمَ ﷺ رُتِّبت الأمورُ بحسبِ وقوعها في الخارجِ، فالتزكيةُ لا ريبَ نتيجةُ تعليمِ الكتابِ والحكمةِ فأُخرت، أما في الآياتِ الثلاثةِ الباقيةِ فالحديثُ في معرضِ الامتنانِ على المؤمنينَ والعربِ الأُمّيينَ بما وقعَ لهم من نعمةٍ عظيمةٍ بمبعثِ النبيّ ﷺ فيهم ومنهم، فقُدِّمت التزكيةُ لمناسبتِها لما يفيدُ معنى المنفعةِ الحاصلةِ لهم بالنبيّ ﷺ واهتماماً بها وتعجيلاً للبشارةِ لهم بها[3].

2- في التعبيرِ بالمضارعِ (يتلو) إشارةٌ منهجيةٌ بيّنةٌ على ضرورةِ الاستمراريةِ في الدعوةِ إلى اللهِ بالقرآنِ وتجدُّدِها بحسبِ أحوالِ

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي، محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1384هـ – 1964م، ج 2، ص 131.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ج 2، ص 49.

(3) انظر: المرجع السابق، ج 2، ص 49 – 50.

المدعوينَ.

3- خُتمَ المسارُ التدرُّجيُّ لهذه الآياتِ خاصةً ولآياتِ الدعوةِ بالقرآنِ عامةً بوصفِ مَن بُعثَ فيهم النبيُّ تالياً داعياً بـ(الأُمِّيِّين)، وإنما وصفَهم بهذا الوصفِ ليُذَكِّرَهم بعظيمِ نعمتِه عليهم إذ أخرجهم من الجهالةِ والأميَّةِ إلى العلمِ والنورِ والهدايةِ، ففي هذا الختامِ إشارةٌ قيّمةٌ بأنَّ أعظمَ ما تمنحُه دعوةُ اللَّهِ وكتابُ اللَّهِ للبشرِ العلمُ النافعُ ورفعُ الجهلِ، فالقرآنُ يسعى إلى بناءِ أمةِ العلمِ والإيمانِ.

4- الأثرُ العمليُّ الواضحُ للقرآنِ تلاوةً وتعليماً هو زكاةُ النفوسِ من الشركِ ورذائلِ الأخلاقِ كما نصَّت الآياتُ، فإن وُجِدَ القرآنُ والتلاوةُ فلم ترَ الأثرَ فاعلم أنَّ هناكَ خللاً في التلاوةِ الحقَّةِ للقرآنِ وتعليمِه.

- **الخامسةُ: آيةُ التلاوةِ في بيوتِ النبيِّ ﷺ في الأحزابِ:** ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾ [الأحزاب: 34]، فالآيةُ وإن كانت خطاباً لزوجاتِ النبيِّ ﷺ فإنَّ "عدم تعيين التالي ليعم تلاوة جبريل، وتلاوة النبي، وتلاوتهن، وتلاوة غيرهن تعلمًا وتعليمًا"[1].

الفوائدُ المنهجيةُ والتربويةُ المستفادةُ ممَّا سبقَ

1- ظهرَ من اقترانِ نزولِ سورةِ المدثِّرِ المؤذنةِ بالبلاغِ بسورةِ المزَّمِّلِ الآمرةِ بإحياءِ الليلِ بالقرآنِ ما لصلاةِ القيامِ وتلاوةِ القرآنِ من أهميةٍ قصوى في بناءِ الداعي المسلمِ من الناحيةِ الروحانيةِ، وهنا ثَمَّتَ سؤالٌ للدعاةِ أولاً ولمن يربّونَ هؤلاءِ الدعاةِ

ما هو حظُّ صلاةِ الليلِ من ناحيةٍ عمليةٍ من أحوالِكم ومناهجكم؟

كلما رأيتَ فتورَ الداعي إلى اللَّهِ وتزمُّلَه بأعذارِه التي لا تنقضي فاعلم أنَّ هناكَ خللاً واضحاً في هذا الركنِ التربويِّ الأولِ الذي أولاه القرآنُ كلَّ عنايةٍ واهتمامٍ.

نحنُ – الدعاةَ – بأمسِّ الحاجةِ إلى إحياءِ هذا الركنِ الدعويِّ في حياتنا إحياءً حقيقياً يتحققُ به البناءُ الروحيُّ، إحياءً يتسنى معه تطبيقُ قولِه تعالى ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾ [المزمل: 4]، بحيثُ تحصلُ القراءةُ المتأنيةُ التدبريةُ التي يحيا بها القلبُ ويعظُمُ بها الإيمانُ وتزدادُ بها الهمةُ واليقينُ، إحياءً يصدقُ عليه لفظُ الإحياءِ من حيثُ اقتطاعُه جزءاً من الليلِ تكونُ به الحياةُ، ولا أقولُ طبعاً إنَّ للمسلمِ حدّاً أدنى يقومُ به سوى ركعتَينِ، ولكنني أتحدثُ هنا عن الداعي إلى دينِ اللَّهِ، والذي يتبوأُ مكانَ الصدارةِ ويتجشمُ عناءَ النذارةِ فوجبَ ألا يكونَ حظُّه من الليلِ كآحادِ المسلمينَ.

ويكفيكَ أيها الداعي إلى اللَّهِ أن تقفَ بعينِ قلبِكَ عندَ هذا الحديثِ والحالةِ التفاعليةِ بينَ القرآنِ وصاحبِه الأولِ بما أحدثَه قيامُ الليلِ في قلبِه ونفسِه ﷺ، فعن عُبيدِ بْنِ عُمَيْرٍ أنَّه قالَ لعائشةَ – رضي الله عنها –: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: "يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي" قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ

(1) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الأرمي العلوي الهرري، بإشراف: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط 1، 1421 هـ – 2001 م، ج 23، ص 18.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ " الْآيَةَ كُلَّهَا [آل عمران: 190][1].

2- تبيَّن لنا من خلالِ ارتباطِ الدعوةِ إلى اللهِ بتلاوةِ القرآنِ على المدعوينَ الأهميةُ الأولى لسلاحِ القرآنِ بيدِ الداعي إلى اللهِ تعالى، ومن هذا الفهمِ وتلكَ الآياتِ أحثُّ كلَّ الدعاةِ ومَن يربونَهم بإيلاءِ القرآنِ العظيمِ عنايتَهم الأولى حفظاً وفهماً واستنباطاً للوسائلِ الدعويةِ منه كي يستعينوا به على فتحِ قلوبِ الناسِ لهم فإنَّه ما أُعطيَ أحدٌ مثلَ القرآنِ في القبولِ لدى المدعوينَ، وما أوتيَ أحدٌ مثلَ القرآنِ في تثبيتِ القلبِ وثباتِ الجأشِ والتسريةِ عن النفسِ.

3- نقلَ القرآنُ العظيمُ بتلاوتِه من قِبَلِ النبيِّ الكريمِ ﷺ على المدعوينَ وبتعليمِه إياهم وبحصولِ التزكيةِ به، نقلَ تلكَ الثلةَ من أمَّةِ الجهلِ والتفرُّقِ إلى أمةِ العلمِ والسيادةِ والرحمةِ، فهل نقلَنا القرآنُ اليومَ كما نقلَهم؟

إنَّه وإذ لم يحصلُ الانتقالُ الصحيحُ به لينبغي أن يقالَ إنَّ هناكَ خللاً في التعاطي مع هذا القرآنِ العظيمِ، فإننا لنرى اليومَ ربوعَ أمتِنا لتضجُّ بمراكزِ تحفيظِ القرآنِ الكريمِ في شتى المستوياتِ، فأينَ الثمرةُ؟!

إنَّ مجردَ تحفيظِ وحفظِ القرآنِ الكريمِ – على أهميتِه – ليسَ هو مناطَ تلكَ الثورةِ العظمى التي أحدثَها القرآنُ في أولئكَ الرعيلِ الأولِ مع رسولِ اللهِ ﷺ، فقد رأينا كيفَ قرَّرت الآياتُ أنَّ ذاكَ الفتحَ العظيمَ قد حصلَ باستمراريةِ تلاوةِ القرآنِ بينَ الناسِ مقترناً بفهمِه والتفاعلِ معه فكانت النتيجةُ حصولَ التزكيةِ القلبيةِ والأخلاقيةِ به ومن ثَمَّ ظهورُ خيرِ أمةٍ أُخرجت للناسِ، وقد شخَّصَ رسولُ اللهِ ﷺ حالتَنا هذه في حديثِ زيادِ بن لبيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فعَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شَيْئًا، فَقَالَ: "ذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأُرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟!"[2].

وقد صدقَ رسولُ اللهِ ﷺ فما أكثرَ القراءةَ والحفظَ وما أعزَّ الفهمَ والعملَ، ولذا أشبهَ حالُ هذه الأمةِ حالَ اليهودِ والنصارى من وجوهٍ متعددةٍ فنسألُ اللهَ الخلاصَ والسلامةَ.

المبحث الثالث: إبرازُ أهميةِ القرآنِ في حياةِ الناسِ ومعادِهم

ممَّا لفتَ انتباهَ الباحثِ في تسلسلِ آياتِ القرآنِ نزولاً والتي تتحدثُ عن القرآنِ ذاتِه أنَّ أولَ ما بُدِأَ به بعدَ الأمرِ بالبلاغِ والتزكيةِ الروحانيةِ الحديثُ عن القرآنِ بكونِه ذكراً للعالمينَ، ومعنى كونِ القرآنِ ذكراً وذكرى وتذكرةً أي: أن القرآنَ ذكرٌ من الله جل ذكره، ذكَّرَ به عباده، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه، وسائرَ ما أودعه من حُكمه. وأنَّه أيضاً: ذكرٌ وشرف وفخرٌ لمن آمن به وصدَّق بما فيه[3]..

وأولُ ذكرٍ لاسمِ الذكرِ جاءَ في سورةِ التكوير ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: 27-29]، وهي من أوائلِ ما نزلَ فيتراوحُ عدُّها بينَ الرابعةِ والسابعةِ وهي على أي حالٍ نزلت في أوائلِ

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، بترتيب علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1408 هـ - 1988 م، كتاب الرقائق، باب التوبة، ح 620، ج 2، ص 386. قال محقق الكتاب: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، محمد بن يزيد القزويني، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط 1، 1430 هـ - 2009 م، أبواب الفتن، بَابُ ذَهَابِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ، ح 4048، ج 5، ص 172. قال محقق الكتاب، صحيح.

(3) تفسير الطبري، مرجع سابق، ج 1، ص 99.

مدةِ الدعوةِ السريَّةِ، ثم تتابعَ نزولُ الآياتِ التي تصفُ القرآنَ بهذا الوصفِ في الفترةِ الجهريةِ بدءاً بسورة عبسَ ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝١٦ ﴾ [عبس: 11–16]، ثمَّ في الإنسانِ ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٢٩ ﴾ [الإنسان: 29]، ثمَّ في (ق) وبقيةِ المدثرِ و(ص) والأعرافِ والزخرفِ والأنبياءِ والمؤمنونَ والإسراءِ ثم في المدنياتِ: البقرةِ والطلاقِ.

ومعنى هذا الاسمِ يدلُّ على حصولِ المنافعِ الدينيةِ والدنيويةِ بهذا القرآنِ المباركِ فهوَ موعظةٌ وعبرةٌ للمخاطبِ به في دينِه وآخرتِه، وهو أيضاً شرفٌ وعزٌّ للمتمسِّكِ به في دنياهُ وبينَ قومِه.

وبداءةُ القرآنِ بذكرِ هذا الوصفِ مخاطباً به المؤمنينَ ثم مؤكِّداً للكافرينَ ثم للعالمينَ يدلُّ على أولويةِ تقديمِ الترغيبِ في هذا القرآنِ في الدعوةِ إليه على الترهيبِ به.

ويدلُّ أيضاً – كما أشرنا سابقاً – إلى مراعاةِ فطرةِ النفسِ البشريةِ في حبِّ التميُّزِ والريادةِ بحصولِ الشرفِ بهذا القرآنِ، بل إنَّ اللَّهَ تعالى بدأَ امتداحَ القرآنِ بهذا الوصفِ الدالِّ على هذا المعنى جلباً للنفوسِ إلى حبِّ القرآنِ العظيمِ لما في القرآنِ والتمسكِ به والعملِ به من عظيمِ المنفعةِ والفوزِ في الدنيا والآخرةِ.

ويُستدلُّ أيضاً من بدءِ وصفِ القرآنِ بالذكرى أهميةُ الاعتبارِ بقصصِ السابقينَ التي هي من معاني هذا الاسمِ، فإنَّ الوقوفَ على حركةِ التاريخِ وقراءةَ العبرِ من أحداثِ السابقينَ منهجٌ قرآنيٌّ أصيلٌ بدأَ مبكراً معَ هذا الاسمِ واستمرَّ بما بُثَّ في القرآنِ من قصصِ الأممِ السابقةِ.

الفوائدُ المنهجيةُ والتربويةُ المستفادةُ ممَّا سبقَ

1- يتعلمُ الدعاةُ والمربُّونَ من تقديمِ ما قدَّمَه القرآنُ أن يبدؤوا الناسَ بالترغيبِ في هذا القرآنِ فيُحَدِّثوهم عن عظيمِ نفعِه وفوائِدِه للناسِ كافةً في دينِهم ودنياهم وعاجلِ أمورِهم ومآلِهم، قبلَ أن يُحَدِّثوهم عن عقوبةِ اللَّهِ لمن تركَ القرآنَ ونبذَه وراءَ ظهرِه.

2- أهميةُ استعمالِ المنهجِ القصصيِّ في الاعتبارِ والمواعظِ في مخاطبةِ الناسِ كما فعلَ القرآنُ المجيدُ، بل وأولويةُ ذلكَ كما أَولى القرآنُ، وهذا الأسلوبُ من الأساليبِ المحبَّبةِ إلى قلوبِ الناسِ والذي يُكثرُ منه الدعاةُ، فينبغي على الدعاةِ أن يضبطوا موعظتَهم القصصيَّةَ بطريقةِ القرآنِ وهديِه.

المبحث الرابع: شمولُ الجنِّ بدعوةِ القرآنِ الكريمِ

وقفتُ طويلاً أمامَ الرواياتِ الكثيرةِ التي تتحدثُ عن استماعِ الجنِّ للقرآنِ، فكثيرٌ منها في الصحاحِ، وهي تحملُ تعارضاتٍ ظاهريةً – وقد نبَّهَ على هذا صاحبُ التفسيرِ الحديثِ[1] – أدت إلى وقوعِ خلافٍ كثيرٍ بينَ العلماءِ في تحديدِ زمانِ تلكَ الحادثةِ وارتباطِها بالموضعَينِ من القرآنِ اللذَينِ يتحدثانِ عن استماعِ الجنِّ للقرآنِ وهما سورةُ الجنِّ وخواتيمُ سورةِ الأحقافِ.

وقد جعلَ أكثرُ المفسرينَ وكُتَّابُ السيرةِ نزولَ سورةِ الجنِّ – التي هي أولُ مواضعِ ذكرِ استماعِهم للقرآنِ – إبَّانَ حادثةِ خروجِ النبيِّ إلى الطائفِ، أي في العامِ العاشرِ لبعثةِ، أي بعدَ عشرِ سنينَ من بدءِ نزولِ القرآنِ، ووضعَها علماءُ القرآنِ في الرتبةِ الأربعينَ في ترتيبِ النزولِ، أي بعدَ سورةِ الأعرافِ، أي في حدودِ العامِ الخامسِ للبعثةِ، وقد خلصَ الباحثُ من خلالِ النظرِ والتحقيقِ الذي سيعرضُه الآنَ إلى أنَّ نزولَها كانَ متقدماً عن هذا الزمانِ، بل هو في أوائلِ العهدِ في مكةَ.

(1) انظر: التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، مرجع سابق، ج 5، ص26–29..

وسأبدأُ بذكرِ عُمَدَ هذه الرواياتِ وما فيها من التعارضاتِ ثمَّ ما خلصتُ إليه من خلالِ أقوالِ المحققينَ ومن خلالِ النظرِ العميقِ في مجموعِ النصوصِ:

المطلب الأول: العرضُ والترجيحُ في زمانِ نزولِ سورةِ الجنّ

- **أولاً: الرواياتُ:**

1- أخرجَ الشيخانِ – واللفظُ لمسلمٍ – عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَآهُمُ انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ. وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ. فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ. قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ. قَالُوا: مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ. فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا. فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا. فَمَرَّ النَّفَرُ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةَ – وَهُوَ بِنَخْلٍ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ – فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ. وَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ. فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ"(1).

2- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " كَانَ الجِنُّ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الوَحْيَ، فَإِذَا سَمِعُوا الكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تِسْعًا، فَأَمَّا الكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا، وَأَمَّا مَا زَادُوهُ فَيَكُونُ بَاطِلًا، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ، وَلَمْ تَكُنِ النُّجُومُ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ حَدَثَ فِي الأَرْضِ، فَبَعَثَ جُنُودَهُ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْنِ أُرَاهُ قَالَ: بِمَكَّةَ، فَلَقُوهُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هَذَا الْحَدَثُ الَّذِي حَدَثَ فِي الْأَرْضِ"(2).

3- عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ، أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ. فَقُلْنَا: اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ. قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ. قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ: «أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: " لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ"(3).

4- عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: " هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِبَطْنِ نَخْلَةَ فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا. قَالُوا: صَهٍ. وَكَانُوا تِسْعَةً أَحَدُهُمْ زَوْبَعَةُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، ج 1، ص331، حديث رقم: 449.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط 2، 1395هـ – 1975م، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الجن، ج 5، ص427، رقم الحديث: 3324، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، ج 1، ص332، رقم الحديث: 450.

أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: 29] الْآيَةُ إِلَى ﴿ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأحقاف: 32][1].

5- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ، عَمَدَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ... [ثم ساق قصةً طويلةً وفي آخرها] ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ مِنْ الطَّائِفِ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ، حِينَ يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِنَخْلَةَ قَامَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَمَرَّ بِهِ النَّفَرُ مِنْ الْجِنِّ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهُمْ- فِيمَا ذُكِرَ لِي- سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنْ جِنِّ أَهْلِ نَصِيبِينَ، فَاسْتَمَعُوا لَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَدْ آمَنُوا وَأَجَابُوا إِلَى مَا سَمِعُوا. فَقَصَّ اللَّهُ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الأحقاف: 29] ... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأحقاف: 31]. وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجن: 1] ... إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ[2].

وقد جعلَ كثيرٌ من كُتابِ السيرةِ حادثةَ استماعِ الجنِّ للقرآنِ متأخرةً إلى ما بعدَ السنةِ العاشرةِ للبعثةِ، وقوفاً على ظاهرِ روايةِ ابنِ إسحاقَ أعلاهُ، كابن سعدٍ في الطبقاتِ وابن إسحاقَ في سيرتِهِ، والواقدي في مغازيه[3].

- **ثانياً: مناقشةُ الرواياتِ:**

1- أنَّ قولَ من قالَ أنَّ قدومَ الجنِّ كانَ بعدَ رجوعِ النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – من الطائفِ ليسَ صريحاً في الأوليةِ، بل إنَّ حديثَ ابن عباسٍ في اشتدادِ رميِ الجنِّ بالشهُبِ إبانَ مبعثِ النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – وطلبِهم معرفةَ سببِ ذلكَ دالٌّ على أنَّ هذا الاستماعَ كانَ في أولِ العهدِ[4].

ورُدَّ بأنَّ الروايةَ ذكرت استماعَهم في صلاةِ الفجرِ، والصلاةُ على هيئتِها الحاليةِ لم تُفرَض إلا بعدَ حادثةِ الإسراءِ – أي قبلَ الهجرةِ بنحوِ سنتينِ –، والتنصيصُ على صلاةِ الفجرِ يجعلُ الروايةَ مشكلةً؛ إذ إن كُتّابَ السيرةِ ذكروا القصةَ بعدَ رجوعِ النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – من الطائفِ وقبلَ حادثةِ الإسراءِ.

والجوابُ على هذا الاعتراضِ من وجهينِ:

الأولِ: لا ريبَ أنَّ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – كانَ يصلي قبلَ فرضِ الصلواتِ خمساً، فيُحملُ قولُ الراوي في هذه الروايةِ على صلاةِ الغداةِ أولَ النهارِ، ويكونُ إطلاقُ صلاةِ الفجرِ باعتبارِ الزمانِ لا باعتبارِ كونِها من الخمسِ، وتكونُ القصةُ قد وقعت أولَ المبعثِ النبويِّ، وقد نبَّهَ إلى هذه اللطيفةِ ابنُ حجرٍ لم يُسبَق إليها – كما ذكرَ –، فهوَ ممَّن يرَونَ تقدمَ استماعِ الجنِّ أولَ المبعثِ[5].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411 هـ – 1990 م، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحقاف، ج 2، ص 495، رقم الحديث: 3701، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(2) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام المعافري، ت: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 2، 1375 هـ – 1955 م، ج 1، ص 419-422.

(3) انظر: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية – دراسة موثقة لما جاء عنها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والروايات التاريخية المعتمدة علمياً مرتبة على أعوام عمر النبي صلى الله عليه وسلم (العهد المكي)، محمد إلياس عبد الرحمن الفالوذة، مطابع الصفا – مكة، ط 1، 1423 هـ، (ص 481).

(4) انظر: فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ج 7، ص1729.

(5) انظر: فتح الباري، ابن حجر، مرجع سابق، ج 8، ص671-672.

الثاني: حملُ الرواياتِ على تعدُّدِ القصةِ[1]، فتكونُ قصةُ الاستماعِ في صلاةِ الفجرِ متأخرةً بعدَ فرضِ الصلاةِ، وتكونُ سورةُ الجنِّ نازلةً في غيرِ هذه القصةِ، وإنما أُتِيَ بها في روايةِ ابنِ عباسٍ تنبيهاً على ما كانَ من استماعِهم وإعلامِ اللهِ نبيَّهُ بما كانَ منهم، ويدلُّ على أنَّ النازلَ في قصةِ استماعِهم في صلاةِ الفجرِ غيرُ سورةِ الجنِ أنَّ رواياتٍ أخرى لنفسِ القصةِ ذكرت أنَّ النازلَ آياتُ الأحقافِ كما في الروايتَينِ الرابعةِ والخامسةِ أعلاهُ.

2- أنَّ الموضعينِ النازلَينِ في قصةِ استماعِ الجنِّ لقصتينِ متغايرتَينِ، فسورةُ الجنِّ تدلُّ على أنَّ الجنَّ الذينَ استمعوا كانوا نصارى بدليلِ قولِه تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: 3]، فعقيدةُ نسبةِ الولدِ إلى اللهِ اشتُهرت عن النصارى – وإن كانت موجودةً عندَ طوائفَ من اليهودِ –، وآياتُ الأحقافِ تدلُّ على أنَّ المستمعينَ يهودٌ، بدليلِ قولِه ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠﴾ [الأحقاف: 30][2]، فإذا قلنا بأنَّ آياتِ الأحقافِ هي التي نزلت في حادثةِ نخلةَ تعيَّنَ أنَّ سورةَ الجنِّ نزلت قبلُ.

3- نصَّت سورةُ الجنِّ على أنَّ النبيَّ كانَ في نفرٍ من أصحابِه لما استمعَ إليه الجنُّ، وقد ثبتَ في السيرةِ أنَّ النبيَّ لمَّا رجعَ من الطائفِ لم يكن معَهُ سوى فتاهُ زيدٌ بنُ حارثةَ، قالَ ابنُ عباسٍ في تفسيرِ قولِه تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾ [الجن: 19] "لَمَّا رَأَوْهُ يُصَلِّي وَأَصْحَابُهُ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ وَيَسْجُدُونَ بِسُجُودِهِ، قَالَ: تَعَجَّبُوا مِنْ طَوَاعِيَةِ أَصْحَابِهِ لَهُ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ: {لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}"[3]، فيترجحُ بهذا الاستدلالِ القويّ أنَّ الآياتِ التي نزلت بنخلةَ هي آياتُ الأحقافِ وأنَّ سورةَ الجنِّ نزلت بشأنِ الاستماعِ الأولِ الذي كانَ أولَ البعثةِ.

وقد أحسنَ صاحبُ اللؤلؤِ المكنونِ في الجمعِ بينَ الرواياتِ بقولِهِ: " ثَبَتَ تَعَدُّدُ وُفُودِ الجِنِّ عَلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، فَإِنَّ الذِينَ جَاؤُوا أَوَّلًا كَانَ سَبَبُ مَجِيئِهِمْ مَا ذُكِر في الحَدِيثِ مِنْ إِرْسَالِ الشُّهُبِ، وسَبَبُ مَجِيءِ الذِينَ في قِصَّةِ ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُمْ جَاؤُوا لِقَصْدِ الإِسْلَامِ، وسَمَاعِ القُرْآنِ، والسُّؤَالِ عَنْ أَحْكَامِ الدِّينِ... أما حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فهُوَ مِنْ أَقْوَى الأَدِلَّةِ عَلَى تَعَدُّدِ القِصَّةِ؛ فإنَّ أبَا هُريرَةَ إِنَّمَا أَسْلَمَ بَعْدَ الهِجْرَةِ، والقِصَّةُ الأُولَى كَانَتْ عَقِبَ المَبْعَثِ[4].

- **ثالثاً: الترجيحُ:**

لأجلِ ما قدَّمنا يترجَّحُ للباحثِ أنَّ استماعَ الجنِّ للقرآنِ الكريمِ كانَ أولَ البعثةِ في سني الدعوةِ السريةِ، وأنَّ سورةَ الجنِّ كانت المُعلِمَةَ للنبيِّ – صلى الله عليه وسلم – بهذا الاستماعِ، ثمَّ لمَّا ظهرَت دعوةُ النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – أتَوه فقرأَ عليهم سورةَ الرحمنِ النازلةَ أولَ الدعوةِ الجهريةِ كما صحَّ في الحديثِ[5]، ثمَّ كانَ منهم الاستماعُ لأجلِ تحمُّلِ القرآنِ والبلاغِ به ببطنِ نخلةَ عندما أُنزلَ على النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – آياتُ سورةِ الأحقافِ، ثمَّ كانَ منهم الاستماعُ بالمدينةِ.

---

(1) ذكر العيني أن قصةَ استماعِ الجنِّ وقعت ستَّ مرات، أربعاً بمكةَ وثنتينِ بالمدينةِ. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج 16، ص 309.

(2) انظر: التفسير الحديث، دروزة، مرجع سابق، ج 2، ص 66.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، مرجع سابق، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الجن، ج 5، ص427)، حديث رقم: 3323، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(4) اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية، موسى راشد العازمي، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 1432هـ – 2011م، ج 1، ص163.

(5) انظر الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرحمن، ج 5، ص399، حديث رقم: 3291. وقد حسَّنه الألباني.

وقد اختارَ جمعٌ من المحقِّقينَ هذا الترجيحَ، ومن هؤلاءِ ابنُ حجرٍ – وقد أشرنا إلى اختيارِه أعلاهُ –، ومنهم ابنُ عطيةَ[1]، والفخرُ الرازيُّ[2]، وجعلَ القرطبيُّ ليلةَ الجنِّ ليلتَينِ: الأولى للإيمانِ، والثانيةِ التي بنخلةَ لإنذارِ قومِهم[3]، واستشكلَ ابنُ كثيرٍ كونَ أولَ استماعِ الجنِّ ليلةَ رجوعِ النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – من الطائفِ لحديثِ ابنِ عباسٍ في الشُّهُبِ فرجَّحَ أنَّ مبدأَ استماعِهم كانَ أولَ المبعثِ[4]، وقد عدَّ صاحبُ اللؤلؤِ المكنونِ القولَ بأنَّ الجنَّ استمعوا القرآنَ أولَ مرةٍ بعدَ عودةِ النبيِّ من الطائفِ وهماً من ابنِ سعدٍ وابنِ إسحاقَ[5]، ووضعَ الدكتور أكرم ضياء العمري حادثةَ استماعِ الجنِّ القرآنَ في آخر عهدِ الدعوة السرية[6]، وقد جعلَ شارحُ المواهب اللدنيةِ قدومَ الجنِّ على النبيِّ بنخلةَ مرتينِ، الأولى قبلَ رحلةِ الطائفِ وهي التي كانَ الاستماعُ فيها أولَ مرةٍ، والثانيةَ مرجِعَه من الطائفِ [7].

المطلب الثاني: ارتباطُ الجنِّ بالقرآنِ:

بعدَ أن تبيَّنَ لنا تقدُّمُ استماعِ الجنِّ للقرآنِ ثم تحمُّلِهم الدعوةَ به نعودُ الآنَ إلى موضوعِ البحثِ الرئيسِ ألا وهوَ ارتباطُ الإنسانِ بالقرآنِ، وهنا ثمَّتَ تساؤلٌ: لماذا عنونَ الباحثُ بحثَهُ بـ(الإنسان) والجنُّ هاهنا داخلونَ في بناءِ القرآنِ لهذه العلاقةِ؟

ويأتي الجوابُ سريعاً بما عنونَهُ أهلُ البلاغةِ بـ(التغليب)، وهي طريقةٌ قرآنيةٌ مشهورةٌ في طياتِ خطاباتِ القرآنِ، فهوَ يخاطبُ الإنسانَ في كثيرٍ من آياتِه، والجنُّ لا ريبَ داخلونَ في خطابِه، قالَ عندَ قولِه تعالى ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ١٠﴾ [الرحمن: 10]: "والخطاب للجن والإنس، لأن لفظ الأنام يعمهما وغيرهما"[8]، فضلاً على أنَّ الإنسانَ هوَ العنوانُ الرئيسُ والأصيلُ في خطاباتِ القرآنِ، وكذا في مقصودِ بحثنا، أمَّا خطابُ الجنِّ فقد أتى فرعاً عن عمومِ خطابِ اللهِ عبادَهُ بالقرآنِ، أضف إلى ذلكَ احتمالُ لفظِ (الناس) في اللغةِ لدخولِ الجنِّ فيه، قال في الصحاح: " والناسُ قد يكون من الإنسِ ومن الجنّ"[9].

فإذا اتَّضحَ هذا فلنعُد إلى بيانِ ارتباطِ هؤلاءِ المخلوقاتِ بالقرآنِ، لقد كانَ الدافعُ الأولُ الذي حرَّكَ الجنَّ حتى وقعَ لهم ما وقعَ من الاستماعِ للقرآنِ، طلبَ معرفةِ الأمرِ العجيبِ الذي لأجلِهِ امتلأت السماءُ شُهباً فمُنِعوا من مقاعدِ الاستراقِ – كما رأينا أعلاهُ -، فيسَّرَ اللهُ لهم إذ ذاكَ مصادفةَ رسولِ اللهِ ﷺ مصلياً صلاةَ الغداةِ ببعضِ البقاعِ خارجَ مكةَ، فطرقَ القرآنُ المبينُ مسامعَهم – وهم لا ريبَ من جنِّ العربِ وبُلغائِهم حيثُ وعَوا ما سمِعوا – فبهرَهم القرآنُ العظيمُ بعجيبِ أسلوبِه وجليلِ معانيه فنزلَ عليهم برداً وسلاماً بعجيبِ نظمِه، وبصائرَ بيناتٍ بجليِّ حقائقِه، فانفتلوا مسرعينَ إلى قومِهم الذينَ بعثوهم مستكشفينَ يخبرونَهم بأمرِ هذا الكلامِ

(1) انظر: تفسير ابن عطية، مرجع سابق، ج 5، ص104.

(2) انظر: تفسير الرازي، مرجع سابق، ج 30، ص665.

(3) انظر: تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج 16، ص216.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم – تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ – 1999م، ج 7، ص290.

(5) انظر: اللؤلؤ المكنون، العازمي، مرجع سابق، ج 1، ص160.

(6) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مرجع سابق، ج 1، ص140.

(7) انظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ – 1996م، ج 2، ص63.

(8) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان القنوجي، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412هـ – 1992م، ج 13، ص318.

(9) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط 4، 1407 هـ – 1987 م، ج 3، ص987.

العجيبِ، ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝﴾ [الجن: 1]، وقد أثَّرَ القرآنُ في هؤلاءِ النفرِ من الجنِّ تأثيراً شديداً حيثُ وصفوه بالعجيبِ في نظمِه وأسلوبِه ومعانيه، ولم يتردَّدوا للحظةٍ في المسارعةِ إلى إعلانِ إيمانِهم به كما يُشعرُ به التعقيبُ بالفاءِ في قولِه ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝﴾ [الجن: 2][1].

ويظهرُ لنا هنا ما بيَّناه سابقاً في حقِّ الإنسِ من أهميةِ لغةِ القرآنِ وبيانِه في جذبِ الناسِ إليه وبناءِ العلاقةِ معَه، فهذا المعنى تحقَّقَ في شأنِ الجنِّ أيضاً بأبينَ ما يكونُ.

ثمَّ لمَّا آمنَ هؤلاءِ النفرِ من الجنِّ وآمنَ بعدَهم ما اللهُ به عليمٌ مِن ورائهم مِمَّن هم مِن جنسِهم رجعوا كرةً أخرى إلى مصدرِ هذا القرآنِ، إلى النبيِّ ﷺ ليُكمِلوا بناءَ العلاقةِ معَ هذا القرآنِ العجبِ بإقامةِ ركنِ الدعوةِ بهِ بعدَ تحمُّلِه، وذلكَ ما كانَ منهم بنخلةَ مرجعَ النبيِّ ﷺ من الطائفِ – كما حقَّقناه أعلاه – فنزلَ قولُه تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٢﴾ [الأحقاف: 29–32].

فالآياتُ جليةُ البيانِ في حملِ هؤلاءِ النفرِ من الجنِّ الدعوةَ إلى اللهِ بهذا القرآنِ وهي تسجلُ قطعةً نفيسةٍ من كلامِهم في دعوةِ قومِهم إلى اللهِ وإلى كتابِه وإلى نبيِّه ﷺ.

وقد سجلت سورةُ الجنِّ طرفاً وافياً من أحوالِ الجنِّ كافرِهم ومؤمنِهم مع خالقِ الكونِ ومعَ هذا القرآنِ، بدءاً بقضيةِ توحيدِ اللهِ وتنزيهِه، ومروراً بتسلُّطِ الجنِّ على كثيرٍ من الإنسِ، ثمَّ ذكرِ بعضِ أحوالِ الجنِّ في استراقِ السمعِ وانقسامِهم إلى صالحٍ وفاسقٍ، وحالِهم معَ القرآنِ... إلخ.

الفوائدُ المنهجيةُ والتربويةُ المستفادةُ ممَّا سبقَ

1- هذا القرآنُ شأنُه عظيمٌ، وأمرُه جلَلٌ خطيرٌ، فما إن بدأت أولُ آياتِه تتنزلُ على هذه الأرضِ حتى أُعلِنت حالةُ الطوارئِ القصوى في طبقاتِ الجوِّ العليا، فانبرت الشهبُ بكلِّ ما تحويه من عظمةِ خلقِها والتهابِ جرمِها وفائقِ سرعتِها وعجيبِ تكوينِها، انبرت تقذفُ أولئكَ الشياطينَ الذينَ يسترقونَ طرفاً يسيراً من خبرِ السماءِ فتحرقُهم حرقاً كي لا يكونَ لهم موطئُ قدمٍ في تلكَ المقاعدِ، ليسَ لتمنعَهم من استراقِ القرآنِ والذهابِ به إلى شياطينِ الإنسِ، وإنما لتمنعَ مجردَ استراقِ كلمةٍ منه يُشَوِّشونَ باستراقِها على القرآنِ أن يكونَ معَ شياطينِ الإنسِ من الكُهَّانِ وغيرِهم شيئاً يُشبِهُه أو كلمةً من نفائسِه.

فحريٌّ بقرآنٍ هذا شأنُه في الملأِ الأعلى، تنتصرُ له جماداتُ الأرضِ من الشهبِ وغيرِها، أن يُكَرَّمَ أيَّما تكريمٍ ويُعظَّمَ أيَّما تعظيمٍ بينَ البشرِ الذينَ نزلَ فيهم ولهم.

2- إنَّ لهذا القرآنِ أثراً عجيباً على النفسِ – كما قلنا من قبلُ – يتأكَّدُ ويتضحُ بصنيعِه في أمةِ الجنِّ، فلإن كانَ الجنُّ ذوو الطبائعِ المغايرةِ للإنسِ، والذينَ لم يتوجَّه إليهم خطابُ القرآنِ أصالةً وابتداءً وإنما تبعاً، قد بُهروا بدقيقِ نظمِهِ وعجيبِ أسلوبِه وقيِّمِ معانيه فبادروا إلى الإيمانِ به، فلهذا الإنسانُ أولى بأن يُبهرَ بكتابِه الذي أُنزلَ إليه فينكبَّ عليه تعلُّماً وتدبُّراً وتأمُّلاً ونظراً ودراسةً وتعليماً حتى يبلغَ مبلغَ تشرُّبِ بديعِ أسلوبِه وتضلُّعِ عظيمِ معانيه.

(1) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، مرجع سابق، ج 15، ص131.

والناظرُ في حكايةِ القرآنِ حالَ الجنِّ عندَ استماعهم القرآنَ يلمحُ في هذه الحكايةِ لغةَ عتابٍ بل وتبكيتٍ للإنسِ الذينَ استقرَّ القرآنُ بينَهم يسمعونَه ليلَ نهارَ فلا يسترعي أسماعَهم ولا يُحرِّكُ قلوبَهم كما كانَ من حالِ إخوانِهم من الجنِّ.

الخاتمة

وفي نهايةِ هذا البحثِ يخلصُ الباحثُ إلى النتائجِ والتوصياتِ الآتيةِ:

أولاً: نتائجُ البحثِ.

1- أهميةُ الدراسةِ التاريخيةِ المتدرجةِ لنزولِ القرآنِ وتساوقِ هذا النزولِ معَ أحداثِ السيرةِ لاستنباطِ القواعدِ المنهجيةِ والمضامينِ التربويةِ والدلالاتِ الدعويةِ التي ترشدُ الدعاةَ والمصلحينَ في كيفيةِ التعاملِ الصحيحِ معَ النصوصِ وأثرِ ذلكَ في الواقعِ.
2- ركنيةُ الدعوةِ في حياةِ كلِّ مسلمٍ بقدرِ ما يحملُ من علمٍ معَ الحدِّ الأدنى من الفهمِ.
3- أولُ وأولى أدواتِ الدعوةِ إلى اللَّهِ تعالى القرآنُ الكريمُ، فيجبُ التسلُّحُ به لكلِّ داعٍ.
4- إحداثُ الأثرِ الأعظمِ في نفوسِ المدعوينَ يكونُ على أتمِّه بالقرآنِ العظيمِ أداةً للدعوةِ.
5- مجردُ الاستماعِ إلى النصِّ القرآنيِّ المبينِ المؤثِّرِ المعجزِ من قِبَلِ من يمتلكُ قلباً باحثاً عن الحقِّ له أثرٌ عظيمٌ في انتشارِ دعوةِ الإسلامِ بالقرآنِ.
6- رسمت سورةُ المزمِّلِ منهجَ البناءِ الروحيِّ للداعي إلى اللَّهِ وهيَ أولُ ما نزلَ بمكةَ بعدَ الأمرِ بالبلاغِ.
7- تلاوةُ القرآنِ وصلاةُ القيامِ ركنا البناءِ الروحيِّ للداعي إلى اللَّهِ.
8- الأثرُ العمليُّ الواضحُ للقرآنِ تلاوةً وتعليماً هو زكاةُ النفوسِ من الشركِ ورذائلِ الأخلاقِ، فإن وُجِدَ القرآنُ والتلاوةُ فلم يُرَ الأثرُ فإنَّ هناكَ خللاً في التلاوةِ الحقَّةِ للقرآنِ وتعليمِه.
9- ينبغي الابتداءُ بما بدأَ به القرآنُ بتحديثِ الناسِ عن الفوائدِ الجمةِ لهذا القرآنِ للناسِ في دينهم ودنياهم قبلَ الحديثِ عن عقوباتِ هاجرِ القرآنِ.
10- أهميةُ المنهجِ القصصيِّ في الدعوةِ إلى اللَّهِ؛ فهذا أسلوبُ القرآنِ، وهوَ أسلوبٌ محبَّبٌ للقلوبِ.
11- القرآنُ كتابُ اللَّهِ للثقلينِ، ولذا فالراجحُ خطابُ اللَّهِ به الجنَّ في أوائلِ العهدِ بمكةَ.
12- أسلوبُ القرآنِ وبديعُ نظمِه يأسرُ الألبابَ ويثيرُ عجبَ النفوسِ الباحثةِ عن الحقِّ من كلِّ جنسٍ.

ثانياً: التوصيات.

وفي ختامِ هذا البحثِ وبعدَ الوقوفِ على النتائجِ السابقةِ أعلاهُ يقترحُ الباحثُ التوصياتِ الآتيةِ:

1- توسيعُ وتعميقُ مجالِ الدراساتِ التاريخيةِ التدرجيةِ لنزولِ القرآنِ مرتبطاً بشتى قضايا الدعوةِ إلى اللَّهِ والإصلاحِ المجتمعيِّ التي عرضها القرآنُ الكريمُ في سياقاتِها الزمانيةِ والمكانيةِ للخروجِ بنظرةٍ أكثرَ التصاقاً بالدورِ الحقيقيِّ التفاعليِّ للقرآنِ في تدرجِه في التعاملِ معَ شتى قضايا الأمةِ.
2- إيلاءُ عنايةٍ خاصةٍ لدورِ القرآنِ في الدعوةِ إلى اللَّهِ بنصوصِه وأساليبِه المستنبطةِ منه، وتسليحُ كلِّ الدعاةِ بهذا السلاحِ حفظاً وفهماً وتدبراً بحيثُ تنسابُ آياتُه على ألسنتِهم في شتى مواقفِهم الدعويةِ.
3- الفهمُ والتدبرُ للنصِّ القرآنيِّ لا يكفي وحدَه لدفعِ المسلمِ، والداعي خصوصاً إلى أخذِ القرآنِ بقوةٍ ما لم يُشفعْ بصبِّ هذا القرآنِ

في روحِه عن طريق قيامِ الليلِ والتفاعلِ معَ النصِّ القرآنيِّ الذي يربي خشيةَ اللَّهِ في القلبِ، وعليه ينبغي زيادةُ الاهتمامِ بالجانبِ الروحيِّ التزكويِّ لنفوسِ الدعاةِ.

4- يوصي الباحثُ بتحويلِ مراكزِ تحفيظِ القرآنِ الكريمِ إلى مراكزَ لتعليمِ القرآنِ، بحيثُ يتعلمُ الملتحقُ بهذه المراكزِ قدراً من تفسيرِ النصِّ القرآنيِّ بما يتناسبُ معَ عمرِه بدءاً بمعاني الغريبِ للأطفالِ وليسَ انتهاءً بدقائقِ التدبرِ ولطائفِ التفسيرِ للكبارِ كطلابِ الجامعاتِ مثلاً، وبهذا ينشأُ جيلٌ قرآنيٌّ حقيقيٌّ ليسَ مجردَ جيلٍ تالٍ وحافظٍ لحروفِ القرآن دونَ قِيَمِه ومعانيه وروائعِه.

المصادر والمراجع

1. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ – 1974م.
2. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، بترتيب علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1408 هـ – 1988 م.
3. إشراقات قرآنية – حزب المفصل،سلمان بن فهد العودة، مؤسسة الإسلام اليوم للنشر، 1436 هـ.
4. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، ت: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1418م.
5. أهمية العلم بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم ومصادره، أحمد خالد شكري* و عمران سميح نزال، بحث منشور بمجلة المنارة – مجلة علمية متخصصة – جامعة آل البيت، عمان، الأردن، بتاريخ 2004/12/26 م.
6. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ.
7. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، بدون سنة نشر.
8. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط 1، 1376 هـ – 1957 م.
9. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز أبادي، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ – 1996م.
10. البلاغة العربية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1416 هـ – 1996 م.
11. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
12. ترتيب نزول السور وموقف الطاهر ابن عاشور منه، شافي سلطان العجمي، بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي، بتاريخ 2017/3 م، مج32, ع108.
13. ترتيب نزول القرآن، محمد علي الحسن، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية، ع 16.
14. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جُزَي الكلبي الغرناطي، ت: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط 1، 1416هـ.
15. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383 هـ.
16. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997 م.
17. تفسير القرآن العظيم – تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ – 1999م.
18. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي، ت: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط 3، 1419هـ.

19. تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول (منبعه وفوائده، محمد مجلي أحمد ربابعة، بحث منشور في مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجّلد 37، العدد 1 – 2010م، عمادة البحث العلمي / الجامعة الأردنية.
20. التفسير الكبير – مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420هـ.
21. التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1422هـ.
22. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ – 2000م.
23. الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي، محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1384هـ – 1964م.
24. حاشيتَي القونوي وابن التمجيد على البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد القونوي – مصلح الدين بن إبراهيم الرومي ابن التمجيد، ت: عبد الله محمود مُحَمَّد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422 هـ – 2001 م.
25. حجة القراءات، عبد الرحمن ابن زنجلة، ت: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
26. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الأرمي العلوي الهرري، بإشراف: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط 1، 1421 هـ – 2001 م.
27. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415 هـ.
28. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1415 هـ – 1995 م.
29. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط 1، 1430 هـ – 2009 م.
30. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: شعَيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط 1، 1430 هـ – 2009 م.
31. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط 2، 1395هـ – 1975م.
32. السيرة النبوية الصحيحة – محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 6، 1415 هـ – 1994 م.
33. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ – 1996م.
34. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407 هـ – 1987 م.
35. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط 3، 1407هـ – 1987 م.

36. صحيح السيرة النبوية (السيرة الذهبية)، محمد رزق الطرهوني، دار ابن تيمية، القاهرة، ط 1، 1410 هـ.
37. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1374هـ – 1954م.
38. علم تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره، أحمد خالد شكري – عمران سميح نزال، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمَّان، الأردن، ط 1.
39. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون سنة نشر.
40. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، بتعليقات الشيخ عبد العزيز بن باز، دار المعرفة – بيروت، 1379 م.
41. فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان القنوجي، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412هـ – 1992م.
42. فهم القرآن الحكيم – التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، محمد عابد الجابري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2008 م.
43. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخشواني – المعروف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط 1، 1419 هـ – 1999 م.
44. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط 1، 1400 هـ – 1980 م.
45. الكشاف عن حقائق التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407 هـ.
46. لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، بدون سنة نشر.
47. اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية، موسى راشد العازمي، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 1432هـ – 2011م.
48. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ – 1994م.
49. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1418،1هـ.
50. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
51. مرتكزات البناء الروحي للداعية المسلم في ضوء مطلع سورة المزمل، عبد الله أحمد الزيوت، بحث منشور في مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، مجلد 1, عدد 50 (2019) > الصفحات: 44 – 55.
52. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411 هـ – 1990 م.
53. مسند أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ – 2001 م.

54. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1408هـ – 1987م.
55. المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار ابن تيمية، القاهرة، ط 2، 1415 هـ 1994 م.
56. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ – 1979 م.
57. منهج التعامل مع النص القرآني حسب ترتيب النزول – قراءة في كتاب الجابري فهم القرآن الحكيم، سليمان محمد الدقور، بحث مقدم إلى مؤتمر التعامل مع النصوص الشرعية (الكتاب والسنة) والذي عقدته كلية الشريعة بالجامعة الأردنية من 4 – 6/ 11/2008م.
58. الموسوعة في صحيح السيرة النبوية – دراسة موثقة لما جاء عنها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والروايات التاريخية المعتمدة علمياً مرتبة على أعوام عمر النبي صلى الله عليه وسلم (العهد المكي)، محمد إلياس عبد الرحمن الفالوذة، مطابع الصفا – مكة، ط 1، 1423 هـ.
59. موقع إلكتروني، الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) على شبكة الإنترنت: https://ar.wikipedia.org/wiki/النمو_السكاني_للمسلمين
60. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون سنة نشر.

References

1. Mastery in the Sciences of the Qur'an (in arabic), Jalal Al-Din Al-Suyuti, REVISED BY: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, The Egyptian General Book Authority, 1394AH - 1974 AD.
2. Al-Ihsan fi Taqreeb Sahih Ibn Hibban (in arabic), Muhammad Ibn Habban Al-Basti, arranged by Ali Ibn Balban Al-Farsi, REVISED BY: Shuaib Al-Arnaout, Al-Resala Foundation, Beirut, I 1, 1408AH - 1988AD.
3. Quranic luminaries - Hizb al-Mufassal (in arabic), Salman bin Fahd al-Awda, Islam Today Foundation for Publishing, 1436AH.
4. The Lights of the Download and the Secrets of Interpretation (in arabic), Nasser Al-Din Al-Baydawi, REVISED BY: Muhammad Al-Mara'ashli, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, I 1, 1418AD.
5. The importance of knowledge about the history of the revelation of the verses of the Noble Qur'an and its sources (in arabic), Ahmed Khaled Shukri* and Imran Samih Nazzal, research published in Al-Manara magazine - a specialized scientific magazine - Al al-Bayt University, Amman, Jordan, on December 26, 2004AD.
6. Al-Bahr Al-Moheet (in arabic), Abu Hayyan Al-Andalusi, REVISED BY: Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr, Beirut, 1420AH.
7. Al-Badur Al-Zahira in the Ten Recurring Recitations (in arabic), Abdel-Fattah Abdel-Ghani Al-Qadi, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut - Lebanon, without publication year.
8. The Proof in the Sciences of the Qur'an (in arabic), Badr Al-Din Muhammad Bin Abdullah Al-Zarkashi, REVISED BY: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, House of Revival of Arabic Books, Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners, Edition 1, 1376AH - 1957AD.
9. Insights of Discrimination in the Classes of the Dear Book (in arabic), Majd Al-Din Al-Fayrouzabadi, REVISED BY: Muhammad Ali Al-Najjar, Supreme Council for Islamic Affairs - Committee for the Revival of Islamic Heritage, Cairo, 1416AH - 1996AD.
10. The Arabic Rhetoric (in arabic), Abd al-Rahman Hassan Habanka al-Maidani, Dar al-Qalam, Damascus, al-Dar al-Shamiya, Beirut, 1st edition, 1416AH - 1996AD.
11. Rectification and Enlightenment (in arabic), Muhammad Al-Taher Ibn Ashour, Tunisian Publishing House, Tunis, 1984AH.
12. The order of the descent of the surah and the position of Al-Tahir Ibn Ashour from it (in arabic), Shafi Sultan Al-Ajmi, research published in the Journal of Sharia and Islamic Studies, Kuwait University - Scientific Publication Council, dated 2017/3AD, Vol. 32, p. .108
13. The order of revelation of the Qur'an (in arabic), Muhammad Ali Al-Hassan, research published in the Journal of the College of Arab and Islamic Studies, p. .16
14. simplification for the Science of Revelation (in arabic), Ibn Juzay Al-Kalbi Al-Gharnati, REVISED BY: Abdullah Al-Khalidi, Dar Al-Arqam Bin Abi Al-Arqam Company - Beirut, Edition 1, 1416AH,
15. Modern Interpretation (in arabic), Muhammad Izzat Darwaza, House of Revival of Arabic Books, Cairo, 1383AH.
16. Interpretation of Al-Shaarawi - Al-Khawatir (in arabic), Muhammad Metwally Al-Shaarawi, Akhbar Al-Youm Press, 1997AD.
17. Interpretation of the Great Qur'an - Interpretation of Ibn Kathir (in arabic), Abu al-Fida Ismail Ibn Kathir, REVISED BY: Sami bin Muhammad Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution, Edition 2, 1420AH - 1999AD.

18. Interpretation of the Great Qur'an (in arabic), Ibn Abi Hatim Al-Razi, REVISED BY: Asaad Al-Tayeb, Nizar Mustafa Al-Baz Library - Saudi Arabia, 3rd edition, 1419AH.
19. Interpretation of the Noble Qur'an on the order of its revelation (its source and benefits (in arabic), Muhammad Megali Ahmad Raba'a, research published in the Journal of Studies in Sharia and Law Sciences, Volume 37, Issue 1- 2010AD, Deanship of Scientific Research / University of Jordan.
20. The Great Interpretation - Keys to the Unseen (in arabic), Abu Abdullah Muhammad bin Omar Al-Taymi Al-Razi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 3rd edition, 1420AH.
21. the mediator Interpretation (in arabic), Waheba Al-Zuhaili, Dar Al-Fikr, Damascus, I 1, 1422AH.
22. The collector of eloquence on the Interpretation of the Verses of the Qur'an (in arabic), Muhammad bin Jarir al-Tabari, revised by: Ahmed Shaker, Al-Resala Foundation, Edition 1, 1420AH - 2000AD.
23. The Collector of the Rulings of the Qur'an - Interpretation of Al-Qurtubi (in arabic), Muhammad bin Ahmed Al-Qurtubi, t.: Ahmad Al-Baradouni and Ibrahim Atfayesh, Egyptian Book House, Cairo, 2nd edition, 1384AH - 1964AD.
24. The two footnotes of Al-Qonawi and Ibn Al-Tamjid on the Al-Baydawi (in arabic), Issam Al-Din Ismail bin Muhammad Al-Qunawi - Musleh Al-Din bin Ibrahim Al-Roumi Ibn Al-Tamjid, REVISED BY: Abdullah Mahmoud Muhammad Omar, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Edition 1, 1422AH - 2001AD.
25. The argument of Quranic readings (in arabic), Abd al-Rahman Ibn Zangala, revised by: Saeed al-Afghani, Dar al-Resala.
26. The Gardens of the Spirit and the Basil in the hills of sciences of Qur'an (in arabic), Muhammad Al-Amin Al-Army Al-Alawi Al-Harari, under the supervision of: Hashem Muhammad Ali bin Hussein Mahdi, Dar Touq Al-Najat, Beirut - Lebanon, 1, 1421AH - 2001AD.
27. The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Repetitions (in arabic), Shihab al-Din Mahmoud al-Alusi, REVISED BY: Ali Abd al-Bari Attia, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, I 1, 1415AH.
28. The series of authentic hadiths and some of their jurisprudence and benefits (in arabic), Muhammad Nasir Al-Din Al-Albani, Al-Maaref Library for Publishing and Distribution, Riyadh, I 1, 1415AH - 1995AD.
29. Sunan Ibn Majah (in arabic), Muhammad bin Yazid Al-Qazwini, REVISED BY: Shuaib Al-Arnaout and others, Dar Al-Resala Al-Alameya, Edition 1, 1430AH - 2009AD.
30. Sunan Abi Dawood (in arabic), Abu Dawood Suleiman bin Al-Ash'ath Al-Sijistani, REVISED BY: Shoaib Al-Arnaout and others, Dar Al-Resala Al-Alameya, Beirut, Edition 1, 1430AH - 2009AD.
31. Sunan Al-Tirmidhi (in arabic), Muhammad bin Issa bin Surat Al-Tirmidhi, revised by: Ahmed Muhammad Shaker and others, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Printing Company - Egypt, 2nd edition, 1395AH - 1975AD.
32. The True Biography of the Prophet - An Attempt to Apply the Rules of the Modernists in Criticizing the Narratives of the Biography of the Prophet (in arabic), Akram Zia Al-Omari, Library of Science and Judgment, Medina, 6th Edition, 1415AH - 1994AD.
33. Explanation of Al-Zarqani on the plastic gifts of Muhammadiyah grants (in arabic), Muhammad bin Abdul-Baqi Al-Zarqani Al-Maliki, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Edition 1, 1417AH - 1996AD.

34. Al-Sahah: language crown and the trues of arabic (in arabic), Abu Nasr Al-Gawhari Al-Farabi, REVISED BY: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Dar Al-Ilm for Millions - Beirut, 4th edition, 1407AH - 1987AD.
35. Sahih Al-Bukhari (in arabic), Muhammad bin Ismail Al-Bukhari, investigation and commentary: Mustafa Dib Al-Bagha, Dar Ibn Kathir, Al-Yamamah, Beirut, 3rd edition, 1407AH - 1987AD.
36. the true events of al-Sira of the prophet (The Golden Biography) (in arabic), Muhammad Rizk al-Tarhouni, Dar Ibn Taymiyyah, Cairo, 1st edition, 1410AH.
37. Sahih Muslim (in arabic), Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Nisaburi, t.: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, House of Revival of Arab Heritage - Beirut, 1374AH - 1954AD.
38. The science of the history of the revelation of the verses and surahs of the Noble Qur'an (in arabic), Ahmed Khaled Shukri - Imran Samih Nazzal, Society for the Preservation of the Noble Qur'an, Amman, Jordan, 1st Edition.
39. The certified for reader (in arabic), Explanation of Sahih al-Bukhari, Badr al-Din al-Aini, House of Revival of Arab Heritage - Beirut,